هنوف عبدالكريم

# قلب الكرز

قصّة

@HnofBntKreem

# قلب الكرز

"جميع عثراتي في الحب تركت في قلبي رضوض إلا هذه العثرة أظنها ستسحقه ،

كيف لهذا القلب أن ينبُض للرجل الذي كان يشاركني اختيار الفساتين لمواعيدي" !

،

" هذا الرجل ليس صديق وحسب بل اكبر من هذا بكثير ، رافقني في جميع فصول

حياتي ويعرف أرقام الصفحات والسطور ، لكنهُ لم يدخل أبداً في الفصل الأحمر "

هنوف عبدالكريم ،

# الإهداء

إلى كُل الأصدقاء الذين ساندوني

إلى كل الأحبّة الذين منحوني من وقتهم الكثير

إلى صديقتي : وفاء ،

إلى المغرّدة : طار ،

شكراً على كُل شيء ، شكراً لله عليكم.

٢٠١٢م – ١٤٣٣ هـ

**(١)**

**يقول : كُنت أتأخّر على عملي رُبع ساعة حتى أراها تأتي بدرّاجتُها الهوائيّة مِن الريف وتبيعُ لأهل المدينة البؤساء ورود اً تُشبه السعادة.**

**(٢)**

**عندما سألتُه عن السبب أجاب مُبتسماً : لا ادري ، كُنت في كُل مره أراها اشعُر بشيئاً ما يسبح في صدري ، كانت تُغذيني بالحياة دون أن تدري !**

**(٣)**

**تبسّمت في دوري وقلت : تُحبها ؟ ضحك فجأة ثُم أجابني : لا اعرف عنها شيئاً فكيف أحبها ؟ سكبتُ له القهوة وأجبته : أنت تعرف عنها أكثر مما تظُن.**

**(٤)**

**ريفيّه بيضاء ، شعرها احمر متموجاً وتلبس قبعة من القش وملابس واسعة لا تبدي من معالمها شيئاً ، تبيع الورد وتسرق من معصمك ربع ساعة في كل صباح.**

**(٥)**

**قال: نعم لكنِ اجهل اسمها ومن أيّ ريفٍ أتت ،عمرها ،هل تجيد القراءة ،ما تحب وما تكره، قلت ل : أنت متورطاً بها أكثر مما ظننت ، لقد كبرت يا رجل !**

**(٦)**

**استرسل في حديثُه عنها رُغم انشغالي في تقطيع كعك البُرتقال قائلاً : لم أتجرأ يوماً أن اشتري منها ورداً ، أخاف أن تقرأ وجهي ويُفتضح أمري!**

**(٧)**

**باغتُه قائله : بأنّك تُحبها ؟ أوقف سيل حروفُه الجارف فجأة ثم أجابني : لا ، أخشى أن تتعرّف علي فقد لمحتني أكثر من مرّه ، ربما تظنني جاسوساً !**

**(٨)**

**أضحكني ردُه ، لم استغرب فصاحبي هذا يرتدي بدلات رسميّه في العمل ويتعامل مع الجواسيس واللصوص وخبرتُه بالنساء لا تتعدّى السكرتيرة الفاتِنة.**

**(٩)**

**كان المساء قد حل وشارفتُ على إغلاق المقهى فساعدني في ترتيب المكان قليلاً ، سألته : هل ستقابلها في الغد ؟ أجاب : وفي كل صباح لكنّها لن تعرف !**

**(١٠)**

**قدمتُ له كعك البرتقال في صندوق ورقيّ فشكرني وقبل ان يرحل قال لي : إن كبرت ولم اجِد حبيبه سأتزوّجك لذا لا تتزوجي احداً ، ضحكنا معاً ثم غادر.**

**(١١)**

**لا ادري ما خطبُ الرجال عندما يتعثّرون في الحُب واخصّ المُشاكسين منهُم ، يبتلِع القِط ألسنتهُم ويُصابون بالبُكم تماماً مثل صاحبي هذا !**

**(١٢)**

**في صباح الغد جاءني صاحبي في وقتٍ مُبكر على غير العادة ، صُحت به : لم نفتتِح بعد ، ما خطبُك؟ امسك بمعصمي ثُم سحبني قائلاً : أُقتليني لاحقاً !**

**(١٣)**

**دفعني إلى شارعٍ عتيق وأراح يديّه على أكتافي ثم ادارني قليلاً وهمس: ستأتي حالاً من ذاك الطريق ، ١ ، ٢ ، ٣ وفجأة انحدرت بدراجتها ، ما أجملها !**

**(١٤)**

**لا ادري ما إذا كانت بشراً أم قِطعه من الجنّة ، هبطت إلى الشارع ثُم استقرّت في الرصيف وانشغلت في ترتيب الأزهار ، بينما كنا نُراقبها من بعيد.**

**(١٥)**

**قرصني صاحبي وقال : أتلومينني الآن ؟ استدرتُ ناحيته وأجبتُه : بالتأكيد ، كيف لم تتحدّث معها أبداً ؟ قال وعيناه تفترسانُها : رُبما لأني أحمق !**

**(١٦)**

**دفعتُه كي يذهب إليها فتعثّرت قدمه وتشبّث في يدي قائلاً في غضب : ماذا تفعلين؟ أجبتُه وأنا أحاول أن استرد يدي منه: أمهّد طريقُك للسعادة !**

**(١٧)**

**لفتنا انتباه بعض المارّة فتوقفنا عن الشِجار وقال بهدوء: لستُ جاهزاً لمقابلتها ، أزحته عن طريقي وقلت: حسناً سأذهب إليها فزبائني ينتظرونني !**

**(١٨)**

**تجاهلتُ توسلاته كي أعود وذهبتُ إليها ، لمحتني وتبسّمت لي ، أكاد اجزُم أنها ملاكاً هبط من السماء في ليلةٍ ماطرة ، لا تُشبه البشريّات ابداً**

**(١٩)**

**التقطتُ نفساً عميقاً ثُم قلت لها : معذرة ، لم آتي كي اشتري زهراً في الحقيقة احد أصدقائي ، قاطعتني بغتة: تقصدين ذاك الذي يُراقبني هُناك !**

**(٢٠)**

**التفتُ إليّه وما إن رآني حتى استدار عنا سريعاً -أحمق- أكمَلت حديثُها وهي ترتّب باقة الأزهار بعناية : اعرفُه ، يترصّد كل تحركاتي في الصباح.**

**(٢١)**

**ضحكت وقلت لها : الم تُفكري يوماً بالصراخ في وجهه كي يبتعِد ؟ ابتسمَت وقالت : لا أبداً ، إنه لطيف واستطيع أن أرى في عينيكِ حُباً كبيراً له !**

**(٢١)**

**تجمّد الدم في ملامحي وتخشّبتُ أمامُها فجأة حتى مفاصلي أصبحت قاسيه لا تتحرّك ، ابتلعت ريقاً بصعوبة وقلت : هذا ليس صحيحاً ، نحن مجرّد أصدقاء !**

**(٢٢)**

**ابتسمت ابتسامةً كشفت لي عن أسنان متراصّة ناصعة البياض وقالت: اسألي قلبكِ أولاً ، ثم أخرجت من صندوق دراجتها الخشبيّ وردة مختلفة وقدمتها لي.**

**(٢٣)**

**وضعتها في كفّي ثُم طبّقت عليها أصابعي وقالت: قدميها له ، ستُعيد إليّه بصرُه ، لا ادري أين اختفى صوتي فجأة وأين جرفتني أمواج حروفُها هذِه !**

**(٢٤)**

**أعادني إلى ارضُ الواقع صوتُها وهي تقول: يجب أن اذهب ، وضعت حقيبتُها على كتفُها ويدُها في كتفي ثُم أردفت: أنا لا أبيع الأزهار ، أُهديها فقط !**

**(٢٥)**

**كان صوتُها ملائكيّاً حين قالت ذلِك واستشعرتُ بدمّي يتسابق في عروقي حين نطقت: أنتِ من خُلقت لها هذِه الزهرة ، ستُزيح الضباب عن عينيّه!**

**(٢٦)**

**ابتعدت عنّي وهي تجرّ بجوارُها دراجتُها حتى اختفت بين الناس وبقيتُ وحدي متجمّدة ، شعرتُ بظلٍ يقترب وصوتُ مألوف يتسلل إلى أذني : ماذا حدث ؟!**

**(٢٧)**

**استدرتُ نحوه وحاولت أن اقطع حبل الأفكار الذي التفّ في رأسي وأنا أقول: لا شيء ، لقد أهدتني هذه الزهرة من أجلك ، تأملها ثم قال بسُخرية: حقاً !**

**(٢٨)**

**وضعتها في يده وقلت بسُخرية: إنها بائعه أزهار ، هل نسيت ؟ رد في تهكّم: أوه نعم ، استطيع الآن أن اعرف كل شيء عنها بواسطة هذه الزهرة السحريّة !**

**(٢٩)**

**تجاوزتُه وعدت أدراجي فأوقفني في امتعاض: لم آتي بكِ إلى هنا كي تشتري لي زهرة ، احتاج موعداً معها أريد أن أتذوّق طعم الجنّة والحياة ، أريدها !**

**(٣٠)**

**لم أريد أن أرى الصدمة في وجهه فيُخدش قلبي استدرت بسرعة ودسستُ يديّ في جيبي معطفي وهربت حتى أني لم التفت له رغم علمي أن عيناه لم تفارق طيفي !**

**(٣١)**

**انتهى النهار وأشرقت الشمس في الجُزء الآخر من الأرض ولم أرى صديقي ، كسرتُ كوبين وطبقُ خزفيّ من فرط التفكير ، كان يوماً سيئاً في المقهى.**

**(٣٢)**

**نظفت الطاولات وجمعت البقاشيش ولمعت الأرض والأفكار في رأسي تعصف ، علقت مريلتي وهممتُ بالخروج لكِن صديقي فاجأني عند الباب قائلاً : أنا آسف !**

**(٣٣)**

**كان متكئاً على الباب وملامح وجهه حزينة كطفلاً كسر دُميته المفضّلة دون قصد ، لم استطع قول شيء فأقترب منّي وقال: احتاج مساعدتكِ في هذا الشيء.**

**(٣٤)**

**رفعتُ حاجباً وقُلت : هذِه زهرة وليست شيئاً ! عُدت للمطبخ وتبعني وهو يقول بعفويّه : أنتِ تعلمين أني لا أجيد التعامل مع المخلوقات الصغيرة !**

**(٣٥)**

**أخرجتُ إناءً من الخزانة وأنا أقول له: متى ستتعلم إذاً؟ غداً سيُصبح لديك أطفال وحديقة في المنزل ، قال: هُم لا يحبونني ولا اعرف ما السبب !**

**(٣٦)**

**سكبت الماء وأضفت له قليل من السكر ثم قصصت جزء من الزهرة ، كان يتأملني بعينين فضوليتين وقال مندهشاً: من أين تعلمتِ كل هذا؟ نظرت إليه وابتسمت.**

**(٣٧)**

**اسند ذراعيّه على الطاولة ثُم عقد حاجبيّه وضاقت عينيّه قائلا: أتعلمين ، للمرّة الأولى المح في خدك الأيسر غمّازة خفيفة ، ارتبكت واضطرب قلبي !**

**(٣٨)**

**ابتعدتُ عنه لأضع الإناء قُرب النافذة وأنا استعيد ذكرى الريفيّة البيضاء هذا الصباح ، قال لي وكأنّه قرأ أفكاري : إذاً ألن تُخبريني ما حدث معها؟**

**(٣٩)**

**أردف في غرور مُصطنع : هل حدثتِها عنّي؟ أخبرتِها أنّي وسيماً ونبيلاً؟ أخرجت كوبين وأشعلت الموقد ثُم أجبته بسخرية : لِما؟ دعها تكتشف بنفسها.**

**(٤٠)**

**ساعَدني في إعداد القهوة وهو يقول: لو خرجتُ معها في موعد سأكون اسعد رجلاً في العالم ، أكمل حديثه بسعادة وأنا أتأملُه وكأني اكتشفُه وأتصفّحه.**

**(٤١)**

**هذا الرجل ليس صديق وحسب بل اكبر من هذا بكثير ، رافقني في جميع فصول حياتي ويعرف أرقام الصفحات والسطور ، لكنُه لم يدخل أبداً في الفصل الأحمر!**

**(٤٢)**

**رُبما يعرف جميع الرجال الذين اخترقوني وغادروا وهُم قِلّه ، يعرف المفضلين لدي ويراهُم مملين جداً ، يتصفّح فصلي العاطفي لكنه لم يسكُنه أبداً !**

**(٤٣)**

**رأيته فجأة يقدم لي كوب القهوة مبتسماً وهو يقول: أعددته بينما كنتِ غارقة في وسامتي ، ضحكت وتناولتُ الكوب وقضينا أمسيّة أظنها الأجمل في عمري.**

**(٤٤)**

**الفجر الذي بزغ في اليوم التالي كان مختلفاً ، شيئاً ما في نفسي أشرق وخرج النور من مسامات وجهي فسمعتُ تعليقاً تكرر من الزبائن: تبدين متوهّجه !**

**(٤٥)**

**نبتت لي أجنحه ملونه كالفراشات ، كنت احلق من طاولة إلى أخرى بفُستان قصير وشعر مُنسدل في دلال على أكتافي ، ذاك الصباح كان تاريخ جديد لميلادي.**

**(٤٦)**

**كُل ما اعرفه ذاك الوقت أنّي وصلتُ إلى مرحلةٍ من السعادة تفوق سعادتي في يوم افتتاح المقهى ولا ادري ما السبب ، كانت خُطواتي في المشي راقِصه !**

**(٤٧)**

**كنت منشغلة في المطبخ اعد كعك الكاكاو حين تسرب إلى أذني صوتا إنطربت حواسي له ، تركت ما في يدي وخرجت لأجد صديقي ينتظرني قرب الطاولة مبتسماً.**

**(٤٨)**

**لم اذكُر أنّي تمايلت في مشيتي غير هذِه المرة حتى إنه ضحك ونظر إلى قدمي ليتأكد من أنّي لا البس كعباً عاليا ، تورّدت ملامحي فناداني بالحمراء !**

**(٤٩)**

**سألته ما إذا كان يريد مشروباً فرفض ثم جلست وقال: اعلم أن فكره اختطافكِ ستزعجك وستفتح الأبواب للصوص الذي لا وجود لهم لذا هلّا ذهبت معي اليوم ؟**

**(٥٠)**

**صرح السعادة الذي بُني في الأمس اندثر فجأة فوق صدري فضاقت علي أنفاسي وأنا أقول: أين؟ أجابني وهو يضع يدُه فوق يدي: لنرى المفقودة مِن الجنّة !**

**(٥١)**

**نبضات قلبي تعثرت فانطفأ النور واختفى التوهج وتقطعت أجنحتي ، قلت متوترة: لا استطيع ، سألني: لماذا؟ أجبته دون أن انظر لعينيه: لأني لا استطيع !**

**(٥٢)**

**استدرتُ إليه وقلت وأنا اشعر بطبقه ماء مالح يغطي عيني: وضعت الكعك بالفرن ولا استطيع أن اترُك المقهى مفتوحاً ، قال: أنتِ طيّبه لا احد سيسرقك !**

**(٥٣)**

**باغتتني دمعه انحدرت بين شُعيرات أهدابي فمسحتها دون أن يشعُر وقلت له بحدّه: لن اذهب ، ثُم عُدت للمطبخ وتركتُه وحيداً كما فعلت في الأمس.**

**(٥٤)**

**تبعني إلى المطبخ متوسلا كطفل عنيد : أرجوك أنا احتاجكِ حتى أتعرّف عليها ، باشرتُ عملي وتجاهلتُه ثم نظر إلى العجين بين يدي وقال: فهمتُ الآن !**

**(٥٥)**

**ابتسم مقهوراً وقال: أنتِ لا تريدين لي السعادة كذبتِ وقلتِ إن الكعك في الفرن ، إنسابت دمعه على خدي حين قال: لا احتاجكِ ، فلتذهبي إلى الجحيم !**

**(٥٦)**

**اخذ الإناء ورمى به أرضا فأنكسر ثم اخذ الزهرة وقال لي غاضبا: لن احتاج إليكِ بعد الآن ولتصنعي كعكتكِ اللعينة ، وغادر تاركاً خلفه حُطام صبيّه !**

**(٥٧)**

**لا ادري ماذا أصابني ، لما افتعلتُ هذه المشكلة كان من الممكن أن أرافقه لكن شيئاً ما في داخلي قيدني بسلاسِل فولاذيّه وأجبرني على الرفض قهراً.**

**(٥٨)**

**رُبما الريفيّة مُحقه في شيء واحد فقط أني واقعُه في حُب هذا الرجُل لكنها مخطئه بشأن الزهرة ، هذا الغبي مازال أعمى وأنا بدأت اكرهه جداً جداً !**

**(٥٩)**

**مضى النهار بطيئاً اسوداً مراً ، عشت في صراع كاد أن يرديني قتيله لا ادري هل انتظره أم أغلق المقهى تمنيت لو يمُر مشرداً كي ادخله ويكون عذراً !**

**(٦٠)**

**من سوء حظي لم يأتي احد تركت المقهى مفتوحاً ساعة كاملة بلا زبائن أملاً في عودته وما كنت لأخدش كبريائي بالبحث عنه ،انتظرته حتى تمكن مني اليأس.**

**(٦١)**

**أغلقت المقهى ودسست المفتاح في الرف الخشبي قرب نبات الصبار وألقيت نظره على الطريق علّني المح طيفه عائدا لكنه لم يعد ،تركت أقدامي تأخذني للبيت.**

**(٦٢)**

**كان الحي هادئاً كما العادة انعطفت إلى بيتي خائبة لكن تفاجأتُ به مرتمياً عند الباب وفي يده قنينة شراب فارغة و زهرة ذابلة تحتضر بين أصابعُه !**

**(٦٣)**

**هرعتُ إليه كأمٍ وجدت طفلُها الضائع منذُ سنين ، ناديتهُ لكنُه لم يجبني كان مخموراً فاقداً لعقله وقدرته في التحدّث ، بكيتُ مابين خوفٍ وفرح !**

**(٦٤)**

**سحبتُه للبيت حتى استهلك طاقتي كُلها أجلستُه على مقعد قرب المدفئة بعد أن أشعلتها وجلبتُ ماءً وقطعه قماش وغسلتُ وجهه ثُم مسحتُه حتى أفاق.**

**(٦٥)**

**فتح عينيه ببطء شديد وتفحص وجهي بحثاً عنها قال بصوتٍ مُنهك: أنتِ ليست هي ، جنّتي لم تأتي اليوم ، ابتسمت وأنا أتمزّق قائله: لا بأس ، لا عليك.**

**(٦٦)**

**مسحتُ على شعره وكان ينظر إليّ بعينين ناعستين ، سألتُه : لما لم تعُد؟ أجابني بصعوبة: كُنت انتظرها ، أخذتُ الزهرة كي أبرهن لها أنّي مُهتم.**

**(٦٧)**

**اخذ يسعل بعُنف فجلبتُ له ماءً بارداً ولم يشرب بل دفع بالكأس على وجهي وانسكب فتبللت ملابسي ، ارتعشت شفتي وأنا أقول له: أنت أغبى رجلاً عرفته !**

**(٦٨)**

**أخذْت الزهرة الذابلة مِن على المنضدة ومزّقتها أمام عينيّه وأنا اشتعل غضبا: هذِه زادتك غباءً ، أنت أحمق ومغفل ، وتلك الريفيّة اشد غباءً منك !**

**(٦٩)**

**أدركتُ أنّي ضربتُ على وتراً ممنوعاً لمسه حين قام واتسعت عيناه وهو يقترب منّي وأنا ابتعد للخلف قائلاً: ماذا قُلتِ؟ أنا غبي ؟ جنّتي غبية ؟...**

**(٧٠)**

**ارتعشت أطرافي خوفاً ، لا ادري هل تتضاعف جثّته عند الغضب أم أنّي كنت عمياء سابقاً ، تجمّعت الكلمات في حُنجرتي فصرّيت على أسناني كي لا تخرُج !**

**(٧١)**

**لم أراه مطلقاً غاضباً إلى هذه الدرجة شعرتُ بأنّي أتقلّص في كُل مرّه يقترب ، لن اقدِر على حمايتي من رجُل بهذا الحجم فوجدت نفسي أقول: آسفة !**

**(٧٢)**

**بدأت عيني تذرف دمعا ولطالما كانت كريمة بها ، حاولت أن أقول شيئا مرتبا لكن شهقاتي أفسدت علي الأمر ، امسك بي من أكتافي ثم أسندني على كتفه !**

**(٧٣)**

**تشبثتُ في قميصه ولوّثته بدمعٍ اسود ، اعتذرت ليس لأنّي قلت عنه غبياً بل لأنّي أحببته في كل غباء ، وأنا التي رسمتُ له شارباً وهمياً في الصغر.**

**(٧٤)**

**اعرف جميع علاقاته العابرة ، اعرفهُن بالاسم في مكان عمله وخارجه ، اعرف انه رجلاً لعوب لا يطمح بأكثر من موعداً واحداً يغذّي فيه جسده ثم يرحل.**

**(٧٥)**

**أيّ ذنبٍ ارتكبته حتى يعاقبني الله به ؟ لو أنّي لم التقي تلك الصهباء لما تصقّحت قلبي و وجدتُه ، سيتعفّن ويموت دون أن ادري وهذا أفضل لي وله !**

**(٧٦)**

**تلك الليلة استحوذ على أريكتي التي أحب ونام فيها ، كانت غرفه المعيشة دافئة دفئاً عجيباً ، جلستُ في كرسي أتأملُه "نتغيّر كثيراً ونحن نائمون "**

**(٧٧)**

**لا اصدّق انه الرجل نفسه الذي أوشك على قتلي قبل قليل ، كان ملاكاً اسمراً فاتِن ، هذا الكائِن مرّ في فصوله الأربعة معي ولا زلت أرى فيه خيراً.**

**(٧٨)**

**كُنت أجاهد عيني كي لا تغفوا وتضيع علي دقيقةً لم أرى فيه وجههُ البريء ، أسندتُ رأسي بين كفّي وأبحرتُ في ملامحُه حتى اسودّت الرؤيا ونُمت.**

**(٧٩)**

**جاء الصباح ثقيلاً على صدري ، صحوتُ في وقتٍ متأخّر جداً ولازلتُ في الكُرسي مُرتمية غير أن غطاءً صوفياً كان يُحيط بي ويلفّني في شعورٍ دافئ.**

**(٧٨)**

**ما إن لامست قدمي الأرض الخشبيّة للغُرفة حتى استشعرتُ ببروده هزّت أوصالي ، مؤخّره رأسي تؤلمني وشيئاً في صدري يقول: ينتظرُكِ حدثُ سيئاً !**

**(٨٠)**

**نظرتُ للأريكة لكن لم أجُد الملاك الأسمر ، جاهدتُ نفسي كي أقف على أقدامي وناديتُه بصوتٍ مُتعب وأنا أتلحّف بالغطاء واخرُج للغرفة الأخرى.**

**(٨١)**

**كان الجو بارداً وكأن الشتاء ترك المدينة واستقرّ في بيتي ، دخلتُ المطبخ وغُرفه نومي وأنا أناديه وخرجتُ للحديقة الخلفيّة ولم يكُن موجوداً !**

**(٨٢)**

**تسارعت الهبوب الباردة إلى الدخول فأغلقتُ الباب بسرعة وأنا اشعُر بخوفٍ شديد في كُل خليّه من جسدي : أين يُمكن أن يكون قد ذهب هذا الرجُل ؟!**

**(٨٣)**

**قفزتُ إلى خارج البيت كالمجنونة بعد أن سحبتُ معطفاً شتوياً كان معلقاً خلف الباب ، انطلقتُ إلى مكان عمله رُغم أنّي متأكّدة أنّي لن أجده هُناك**

**(٨٤)**

**كان واضحاً أنّي تجاوزتُ مرحله المِرآة وانطلقت من مخدتي إلى الباب ، بدوتُ بشعة بين الشقراوات الفاتِنات وأنا وحدي السمراء بشعرٍ اسود مُبعثر.**

**(٨٥)**

**سألت جميع من صادفته في مكان عمله ولم يراه أحداً هذا اليوم ، كانت العواصف في صدري تفوق قوّه تلك العواصف التي انتشلت صناديق الباعة في الرصيف !**

**(٨٦)**

**أخذتني أقدامي إلى الشارع الذي إلتقيتُ فيه بتلك الصهباء ، لا اعرف لماذا ؟ خلتُ لبُرهة انه هناك ، رغم انه في هذا الوقت عاده يغيضني في المقهى.**

**(٨٧)**

**بحثت عنها ولم تكن هناك ، الرياح قويّه وباردة حتى إن أصابعي العارية أصبحت زرقاء ، أكان عليك أن تتركني الآن؟ في بداية هذا الفصل الذي لا يرحم !**

**(٨٨)**

**جلست على مقعدٍ خشبي ودسست يديّ في جيوب المعطف ورفعت أقدامي عن الأرض وأسندت رأسي بين ركبتيّ وأنا انظر إلى الناس يهربون من البرد إلى بيوتهم.**

**(٩٠)**

**مساءً كان طريق العودة للبيت طويل ، أطول من العادة وكأنّه تمدد فجأة ، لا ادري ماذا كُنت انتظر هُناك ، سأكون وحدي دونُه ، في البيت أو خارجُه.**

**(٩١)**

**دفعت الباب وأغلقته وسحبت نفسي بصعوبة كي أشعل المدفئة ، لمحت شيئاً مألوفاً أسفل الكرسي وأخذته لأكتشف أنها ورقةً حمراء ، إحدى ضحايا المجزرة.**

**(٩٢)**

**قبضت عليها وأنا استعيد ذكرى البارحة ، لو أنّي لم اقل عنه غبياً لما رحل ، لو أنّي كنت صبورة لما قتلت الزهرة ، لو أنّي لم أحبه لما بكيت الآن !**

**(٩٣)**

**كان اليوم الأسوأ في عُمري ، بقيتُ طيلة الليل في البيت على السرير ، ابكي واحترق وازداد إشتعالاً كلما باغتتني ذكرى جمعتني به ، الرجُل الغبي !**

**(٩٤)**

**علمتُ انه ذهب للبحث عنها وتركني هُنا احتضِر دون أن يكترث ، ومن أكون أنا حتّى يهتم ؟ قالها لي سابقاً : السمراوات ، غير مرئيّات بالنسبة لي !**

**(٩٥)**

**ربما لم يلحظ أنّي سمراء فقد كنا معاً منذ الطفولة وتلك المرحلة لا نرى ألوان البشر فيها بل نميّز ألوان الألعاب فقط : كانت ألعابي مفضّله لديه.**

**(٩٦)**

**استوطنتُ سريري وتركت المقهى مُهملاً ولم اذهب لحفله الشاي التي تُقيمها جارتي ، كنت استيقظ لأبكي وأنام لأرتاح من البُكاء ، أصبحتُ يابسة جداً.**

**(٩٧)**

**مرّت ثلاثة أيّام لم أتناول فيها سوى أصابع البسكويت المالحة ونصفُ إجاصه تركتُها قُرب السرير حتى فسدَت ، عاقبتني معدتي عقاباً مُميتاً لا يرحم.**

**(٩٨)**

**قوّستني وسلبت منّي نومي الذي كان فُرصتي الوحيدة لأرتاح من التفكير ، حوّلت مجرى بُكائي الذي كان لأجل رجل أحمق وجعلته لأجلها ومع ذلك لم ترضى.**

**(٩٩)**

**ذاك المساء ، كنت على شفا حفرة من الموت حين سمعت طرقاً على باب بيتي وتسلل إلى أذني صوتاً أنثوياً لم أميّزه يقول: هل أنتِ هُنا؟ أنا جارتُكِ.**

**(١٠٠)**

**تمنّيت لو أنها تأخُذ المُفتاح الاحتياطيّ داخِل وعاء النبات قُرب الباب ، تعرُف مكانه كانت تستخدمُه في كل مره تحتاج شيءً وأكونُ في المقهى.**

**(١٠١)**

**تأخرت جارتي كثيرا في المجيء حتى لم يعد بي أيّ قوّه واستهلكت صوتي في الأنين وأصبحت أحبالي الصوتية ضعيفة ، أغمضت عيني وفقدت إحساسي في كل شيء !**

**(١٠٢)**

**لا ادري كم يوماً بقيت فيّه في المُستشفى ، لكن الذي اعرفُه هو أن جارتي لم تترُكني يوماً واحداً حتى قبل أن استعيد وعييّ ، قالت لي: افتقدناكِ.**

**(١٠٣)**

**إنها لطيفه ، سيّده طيبه لها أولاد رائعون وزوج أروع ، لقد ظنّت أنّي كنت مُكتئبة لأنّي فقدت قدرتي في صنع الكعك ، كذبتُ عليها كي لا تُشفق علي.**

**(١٠٤)**

**قضت نِصفُ وقتها في زيارتي تُحاول أن تُقنعني أنّي لا زلت جيّده ، ابتاعت لي عدّه جديدة للطبخ والكثير مِن القوالب ، اشعُر أنّي سيّئة جداً.**

**(١٠٥)**

**ساعدتني في تنظيف بيتي والمقهى رُغماً عني ، تقتُلني كلّما مدحت لي كعكاً أعددته وأفسدته متعمّده ، كانت تقول في حُب: يجب أن يتذوّق أولادي هذا.**

**(١٠٦)**

**غادرت منزلي ذلك اليوم مساءً و وعدتني في أن تفتح عنّي المقهى غداً كي أنام جيداً ، احتضنتها بصدق وأنا أقول في نفسي: سامحيني على كذبتي البيضاء.**

**(١٠٧)**

**كان واجباً علي أن أُنهي كُل شيءٍ واستعيد حياتي وأُزيح السنين التي زادت فوق عُمري وامتصّت نظارتي، هذا ما فعلتُه قبل أن أنام تِلك الليلة.**

**(١٠٨)**

**مضت أيامي هادئة بشكلٍ مُقلق ، نعم أنا افتقدُه ولا زلتُ أحبّه لكن موجوعة ولا استطيع أن انزع من رأسي صورتُه معها ، اسمر وصهباء ، ليس جميلاً.**

**(١٠٩)**

**لم يحبني أبدا، كنت الماء الطاهر الذي يغتسل به بعد كل مره يرمي نفسه بوحلٍ خبيث، كنت الشيء الذي يشعره انه محبوباً في ملابسُه وجيوبُه الفارغة.**

**(١١٠)**

**تخلّصتُ من كل شيء يذكّرني به ماعدا الورقة الحمراء والتي لا ادري أين ضاعت جثث أخواتها ، وجدتُها وحيده رُغم أنّي لم أنظّف المجزرة ذلك اليوم.**

**(١١١)**

**اذكُر ذلك اليوم عندما فاجأتُه في العمل ومعي غداءً لاثنان ، خبّئني في مكتبُه بعيداً عن الشقراوات وقال لي آمراً: لا أُريدكِ أن تختلطي بهنّ!**

**(١١٢)**

**ظننتُه قلقاً علي لكنه قتل هذا الظنّ عندما قال: ستُفسدين مظهري بلسانُكِ الأبيض ، قُلت: ماذا تقصد؟ أجابني: لا يقول إلا الحقيقة ، ستقتُليني.**

**(١١٣)**

**كان خائفاً من أن أقول انّه طيّب وحنون وضحكتُه تُشبه ضحكات الأطفال ، خائفاً من أن اقتُل الرجل الجذّاب الذي تعشقه الجميلات من وراء الجُدران.**

**(١١٤)**

**ذلِك الرجُل/الطفل الذي لم ولن تعشقه سمراءً غيري ، لماذا؟ لأنه لا يظهر إلا أمامي ويختفي معهُن ، يصبح وحشُ مُثير لا يضحك أبداً ويبتسم نادراً**

**(١١٥)**

**كان يوماً مزحوماً بالعمل والمقهى مُمتلئ بالزبائِن أصحاب الكُتب والجرائِد ، غير أن طاولةً واحده بدت مُختلفة و ورديّه أكثر ، تضُم ٣ صبيّات !**

**(١١٦)**

**كُنت التقط شيئاً مِن حديثهُن في كُل مرّه أمُر فيها قُرب الطاولة ، كان مشبّعاً بالسُخف والسذاجة وشيئاً غبياً يُقال عنه الحُب ، فلم احتمِل أكثر.**

**(١١٧)**

**قاطعتهُن قائله: معذرة ، هل يُمكن أن أقول شيئاً؟ ابتسمنَ بلُطف مرحّباتٍ بي ، أسندت يدي على كُرسي إحداهُن وقُلت: كفاكُن سُخفاً يا جميلات.**

**(١١٨)**

**تلاشت الابتسامات فجأة وأكملتُ حديثي: الحُب الذي تتحدثن عنهُ موجوداً فقط في رؤوسكنّ الصغيرة ، الرجال لا يعشقون وخصوصاً انتُن الصفراوات!**

**(١١٩)**

**قامت إحداهُن غاضبه وقالت: ماذا تقصدين؟ أجبتُها ببروده: اقصِد الشقراوات ، ردت وملامح وجهُها احمرّت من الغيض: أنتِ مُخطئه أيتُها القرويّة !**

**(١٢٠)**

**ثُم أكملت في غرور: تحتاجين إلى إنقاص بضع كيلوغرامات ورُبما زيارة للمِرآة ستُفيدكِ ، نحنُ لا نحتاج ذلِك ، خُلقنا جميلات ، ولن نعتذر عن هذا**

**(١٢١)**

**أكملت إحدى صديقاتُها: نعم ، رُبما حينها ستجدين من يُحبك أو فلتبكي طيلة عُمرك لأنّك لم تُخلقي "صفراء" ، لبُرهة كُنت سأكسُر رأسُها بالكوب !**

**(١٢٢)**

**الثالثة بدت أكثر هدوءً فأخذت صديقتيها وقالت لي قبل أن تخرُج في شفقه: مؤسفاً حالُك ، آسفة لأجلكِ ، كنت سأقتلها تِلك الأخرى لكنها خرجت بسرعة.**

**(١٢٣)**

**مُنذ متى أصبحت أخوض هذا النوع مِن النِقاشات البلاستيكيّة ؟ غيابُك أفسدني ولساني أصبح بذيئاً ، أنت من لطّخ يديّ بدماء الزهرة وجعلتني مُجرمه.**

**(١٢٤)**

**انتهى المساء على خير حمداً لله وبقيت وحدي ارتّب الأكواب والأطباق حتى فاجأني صوت رجلاً غريب قائلاً لي: توقعت أن تقتليهُن ، سيكون هذا مشوقاً !**

**(١٢٥)**

**نبرتُه كانت ساخرة بشيءٍ من الجديّة ومظهرهُ كذلك ، اكتشفتُ هذا عندما رفعتُ عينيّ إليه وقلت: ومن تكون؟ أجابني بابتسامه: مُعجب بمتوحشةٍ سمراء !**

**(١٢٦)**

**وضعتُ الكوب الذي كان في يدي وقُلت له في برود: اعتذر يا مُعجَب ، سأُغلق المقهى ، رفع حاجباً وقال وهو ينظر لكومه الأطباق في الطاولة : لا أظُن .**

**(١٢٧)**

**هرع إلى جانبي وباشر مُساعدتي بينما كُنت انظُر إليه في دهشة ، تبسّم فظهرت في خدّه غمّازة عميقة وقال لي: تحتاجين مُساعده ، الأطباق تصرُخ !**

**(١٢٨)**

**سألتُه في غباء: لِماذا ؟ ردّ علي وهو يأخُذ طبقاً بلُطف بالِغ :**

**لأنكِ قاسيه معها ، ارتبكتُ قليلاً واستدرتُ عنه كي لا يلمَح ذلِك !**

**(١٢٩)**

**حدّثني بينما كُنت أجفف الأكواب النظيفة : كنت اجلس في الطاولة الثالثة وحدي ، من حسن حظي ، قُلت له: اعتقد أن حجم أُذنك الكبير لم يُخلق عبثاً.**

**(١٣٠)**

**ضحك وقال: هذه الملاحظة عاده أتلقاها من الرجال ، إنها المرة الأولى التي اسمعها من صبيّه ، التقت أعيننا وقُلت: ولستُ أيّ صبيّه ، أنا متوحّشة.**

**(١٣١)**

**ابتسم فظهرت الغمّازة مُجدداً وقال في إعجاب: جميل ، اقتربتُ إليه وقُلت بحدّه: أتدري مالجميل أيضاً؟ أن تُنهي العمل سريعاً ، تأخّر الوقت الآن!**

**(١٣٢)**

**عاد إلى عملُه بينما كنت امسح الأرضيّه وقال: هل أنتِ دائماً قاسيه؟ صمتُ قليلاً أفكّر ، ارتخت قبضتي للمِمسحة وأنا أقول: لا أبداً ، أنا طيّبه**

**(١٣٣)**

**غرقتُ في موجه أفكار تفجّرت في رأسي بينما كان يتحدّث معي ، أدركتُ أن غيابُك لم يجعلني كاذبة وحسب ، بل امتصّ مني طُهر قلبي وجعلني قاسيه جداً !**

**(١٣٤)**

**التقطت أُذناي صوتُه وهو يهتُف: انتهيت ، التفتُ إليه ورأيتُه قادماً وأكمام قميصُه مرفوعةً فكشفت عن ذراعان قويّتان ، قال : تحتاجين مُساعده ؟**

**(١٣٥)**

**اخذ مني الممسحة ولم أمانع ، جلستُ على كرسي قريب وأنا انظُر إليه واستعيد صوره الراحِل الأسمر ، أنا خائفة حد الفزع من تأثير هذا الغياب علي.**

**(١٣٦)**

**انتهينا مِن العمل وأوصلني للبيت رُغماً عني ، استدرت إليه عند الباب وقُلت له : أنا لا ادري ماذا أقول ، قاطعني : شُكراً ستكون مُناسبة الآن.**

**(١٣٧)**

**ابتسمت وقبل أن انطُقها أكمل : وآسفة أيضاً ، هتفت : على ماذا؟ قال : سُخريتكِ من أُذنيّ الكبيرتان ، صمت قليلاً ثُم انفجرتُ ضاحكه حتى آلمني بطني.**

**(١٣٨)**

**قال لي : ضحكتكِ فيها شيئاً غريباً ، قلت وأنا أحاول أن أتوقف عن الضحك : اعلم ، إنها رفيعة جداً ، قال : لا ، جميله ، فتوقفت عن الضحك فجأة.**

**(١٣٩)**

**ارتبكت قليلاً وتورّدت ملامحي ثُم قلت بهدوء : شكراً ، رفع يدُه والتقط شيئاً في الهواء ثم قال لي : أخيراً حصلت على "شكراً" منكِ ، سأحتفظ بها.**

**(١٤٠)**

**ودعني ثم غادر ودخلت البيت وأنا ابتسِم ، رُبما لم يكن اليوم سيئاً في نهاية المطاف ، أخذتُ حماماً دافئ ورميت نفسي على السرير وغرقتُ في النوم.**

**(١٤١)**

**عُدت إلى المقهى في منتصف النهار ، قضيتُ الصباح اشتري ما كان ينقُصني لإعداد أصنافُ جديدة من الكعك ، قابلتني جارتي بوجهٍ عابس أخفى ابتسامتي.**

**(١٤٢)**

**قلت لها مازحه : حسناً ، كان بإمكانكِ أن ترفضي مساعدتي ، أخذت من يدي كيساً وقالت بسوء : احد زبائنكِ قال شيءً أغضبني ، اخبريني هل أبدو مسنّة ؟**

**(١٤٣)**

**دلفَت إلى المطبخ وتبعتها وأنا أقول: ماذا حدث؟ وضعت الكيس على الطاولة وأفرغته قائله : كان يبحث عنكِ وعندما رآني قال: لا بُد أني نمتُ طويلاً!**

**(١٤٤)**

**حاولت أن لا اضحك وأنا اقترب منها وقول : لا عليكِ منه ، وضعتُ يدي على كتفُها وأكملت : أنتِ جميله ، لستِ مسنّة أبداً ، التفتت إليّ وابتسمَت**

**(١٤٥)**

**جارتي ، في الواقع لا تبدو مُسنة إطلاقاً ، إنها أكثر شباباً مني وأظُن أن بشرتُها تتغذّى على ابتسامات صغارُها وأصواتهُم وحُب زوجُها الطيّب.**

**(١٤٦)**

**أخبرتني انّه في الطاولة الثالثة وسألتني قبل أن اخرج : هل أنتما معاً؟ ضحكت متفاجئة : لا ،مازلت انتظر من ترشّحينه لي ،تنهّدت وقالت: حمداً لله.**

**(١٤٧)**

**خرجت من المطبخ وأنا أتبسّم ، تذكرت حديثها معي بعد أن حضرت إحدى خيباتي بالرجال ، كنت اعد حفله صغيره من اجله ولم يأت فقالت: سأختار لكِ بنفسي.**

**(١٤٨)**

**ربما لو أني سلمتها مسؤليّه إختيارات فصلي العاطفي لما تعثرت بك ، أنت كارثة في الحب وخسارة فادحه في الصداقة وغيابك منحدر خطر أخاف أن يبتلعني.**

**(١٤٩)**

**جلست أمامه بينما كان غارقاً في كتاب بين يديه وقلت له بابتسامه كاذبة وأنا اشعر بالغيظ: اخبرني، هل العيب في رؤوسكم أم أقدامكم ؟ قال: الاثنان !**

**(١٥٠)**

**قلت له غاضبه : أنا متأكّدة أن الرجال جميعهم أغبياء ، بعضهُم ولدوا بلا عقول وآخرين أقدامهم عوجاء فتعثّروا وارتطمت رؤوسهُم بالجُدار !**

**(١٥١)**

**أغلق الكتاب بهدوء ورفع عينيّه الفاتحتين إليّ وقال مبتسما : تبدين جميله عند الغضب ! رفعت إصبعي وهددته قائله : إيّاك أن تبدأ هذا الحديث الآن !**

**(١٥٢)**

**رفع يديّه وحاجبيّه مستسلماً ثُم قال : حسناً يا متوحّشة ، اسند ذراعيه على الطاولة وأردف بصدق: اعتذر عما قلته لصديقتك، إنها تشبهك في الخمسين.**

**(١٥٣)**

**سألتُه : وكيف هذا؟ ابتسم واثقاً : سترين هذا يا جميله ، وجدتُ نفسي أقول دون تفكير : هل ستنتظِر ٢٥ عاماً لترى؟ حينها زادت ابتسامتُه اتساعاً.**

**(١٥٤)**

**حاولت استرجاع ما قلته فبدا ارتباكي واضحاً أثناء حديثي المتعرّج فأوقفني وهو يضحك قائلاً: لا عليكِ ، لم تقتلي أحداً وان فعلتي سأتكفل بالجثّة.**

**(١٥٥)**

**غيّرت مجرى الحديث: ماذا تقرأ؟ إن لم يحتوي صوراً للكعك لا أريد أن اعرف ، وضع يدُه على صدرُه وتظاهر بالألم قائلاً : أرجوكِ لا تخدشي رجولتي !**

**(١٥٦)**

**ثُم قال بعفويّه : في الواقع يحتوي الكثير مِن الكعك واغلبُها مُحترقة ، سرقتُ الكتاب من يديّه وأنا أقول بفضول شديد: دعني أرى هذا يا رجُل**

**(١٥٧)**

**بدت خيبه جليّه على وجهي وأنا اقلّب كتاباً لا يحتوي إلا على سطور متراصّة بلا روح ، قال لي: نسيت أن أقول إنها كعكات سياسيّه سترينها إن قرأتي.**

**(١٥٨)**

**أعدتُ له الكتاب وأنا أقول : من أنت؟ ماذا تعمل؟ ولما أنت هُنا وتتحدّث معي؟ ، ضاقت عينيّه حين أجابني : أنا رجُل اقرأ وأتحدّث معكِ لأني طيّب**

**(١٥٩)**

**أزحت شعري للوراء بحدّه وأنا أحاول أن أتمالك نفسي وأقول بهدوء : أنت رجُل مُستفز ، لا تكون جدياً أبداً ، قاطعني : سأكون هذا المساء ، أعدُك.**

**(١٦٠)**

**كان صادقاً في وعدُه ، قضينا أمسيّه جميله في الحديقة القريبة ، تناولنا الذرة وعصير الرمّان وامسك بيدي كي أسير على السور الخشبي ، كان لطيفاً.**

**(١٦١)**

**عرفتُ عنه الكثير ، قارئ شغوف بالسياسة والأدب تجاوز الثلاثين ورث عنأابيّه مكتبه صغيره في الشارع الذي يسكنُه، مُستفز وظريف نوعاً ما.**

**(١٦٢)**

**أريد أن أخبرك سراً أيها الغائِب ، ذاك المساء لم أفكر بك أبداً ، ضحكت كثيراً وكأني اضحك للمرّه الأولى، ضحكت حتى تجمّعت دمعه حُلوه بين أهدابي.**

**(١٦٣)**

**ذلك المساء قتلتُك وانتشلتُك من صدري ، أقمتُ عزاءً راقص وملوّن ، تسابقنا وتحادثنا وضحكنا وعدّينا النجوم حتى أصبحت السماء بنفسجيّة تتنفّس.**

**(١٦٤)**

**ما عادت أماكننا المفضّلة مقدّسه لدي ، أصبحت الآن عاديه حتى إني مررتُ بها برفقه رجُلٍ طويل تعرفتُ عليّه في الأمس ، هل هذا الشيء يؤلمُك ؟**

**(١٦٥)**

**قفزنا من عتبه الأصحاب إلى الأصدقاء جداً ، كانت علاقة عجيبة حيثُ لم نمر بالمرحلة التي نكون فيها غُرباء ، هذا الرجُل يعرف كيف يُضحكني حتى البُكاء.**

**(١٦٦)**

**مضت الأيام جميله في صُحبته ، كنت أراه في الصباح وينشغل نهاراً في المكتبة ثُم نتقابل مساءً ، استطيع أن أقول انّه اشغلني عن التفكير بك !**

**(١٦٧)**

**استيقظتُ متأخّرة ذلك اليوم وانشغلت في المطبخ أُعد أصنافاً مُختلفة من الكعك والمعجّنات ، حتى إنّي لم اذهب للمقهى ولم اخرُج من البيت.**

**(١٦٨)**

**سمعت طرقاً على الباب فغسلت يديّ ومسحتُها عبثاً في مريلتي ورتبتُ شعري وأنا أتوجه للباب ثُم فتحته لأتفاجأ به وفي يدُه كيساً صغيراً.**

**(١٦٩)**

**تأمّل وجهي المتّسخ بالدقيق وقال مقطّب الجبين : أفضّلكِ سمراء ، قُلت له: ليس الوقت مناسباً للزيارة ، تجاوزني مُبتسماً وهو يقول : اعلم !**

**(١٧٠)**

**توجّهت للمطبخ وأنا أقول : إذاً لما أتيت ؟ أجابني وعيناه تتفحّص اللوحات الزيتيّة على الحائط بفضول : افتقدتُكِ ، لم اشرب القهوة هذا الصباح.**

**(١٧١)**

**عُدت إلى عملي فرأيتُه يدخُل وما إن وقعت عيناه على الطاولة حتّى توقف فجأة واتسعت عيناه قائلاً: ما هذا ؟ هل أنتِ تطبخين أم تخترعين ؟**

**(١٧٢)**

**تنهّدتُ بعُمق ثُم وضعت كِلتا يديّ على وجهي وأنا اشعُر بغصّة بُكاء تخنُقني ، اقترب منّي وقال في اهتمام : ما بكِ؟ قُلت وأنا ابكي: أفسدتُها !**

**(١٧٣)**

**نظرتُ إليه بعينين غارقتين بالدموع والدقيق ، كانت ملامحُه جديّه اقترب إليّ وسحبني بهدوء إلى صنبور الماء ثُم قال : نظّفي وجهكِ الآن !**

**(١٧٤)**

**نفّذت أمرُه دون عِناد على غير عادتي وكأنّه خدّرني ، قدّم لي منديلاً كي أجفف وجهي وقال بصوتٍ هادئ : اخبريني ماذا حدث معكِ ؟**

**(١٧٥)**

**التقطتُ نفساً عميقاً ثُم أطلقتُه بهدوء وقلت له وأنا انظُر إلى عينيّه الدافئة : كُنت سأعد فطيره التُفاح لكني أفسدتُها ، نفذت منّي المقادير الآن !**

**(١٧٦)**

**خنقتني الغصّة مُجدداً وقُلت له بصوتٍ مبحوح : حفل الشاي هذا المساء ، يجِب أن أجد حلاً سريعاً ، رفع حاجباً ثُم نطق : هل ستفيدكِ الفطائر المحلّاة ؟**

**(١٧٧)**

**هتفتُ : بالتأكيد ، قال : إنها هُنا ، أشار إليها فوق الطاولة فأسرعت إليها ثُم أخرجت طبقاً وباشرتُ عملي بينما كان يتحدّث معي بعفويّه !**

**(١٧٨)**

**قال : جلبتُها معي كي نتناولها معاً لكن غيّرت رأيي بعد ان رأيتكِ "بيضاء" جداً ، تجاهلتُه منشغلةً في محاوله إعداد فطيره كاذِبة ، ياللعار.**

**(١٧٩)**

**اظلم الحيّ وأضاءت المصابيح الصفراء وغابت العصافير ، كُنت قد أنهيت للتو من تجهيز نفسي وقفتُ أتأمّل إنعكاسي في المرآة ، ثُم تنهّدت بعُمق.**

**(١٨٠)**

**خرجتُ لغُرفه المعيشة وهتفت عندما وقعت عينيَّ عليه : ما زلت هُنا ! التفت وقال مُبتسماً : اجل هذا .. ، بتر جُملته وهو يتأملني من رأسي إلى قدمي !**

**(١٨١)**

**قُلت في سُخريه : لا تمثّل دور المُعجب الآن ، ارتديت هذا الفُستان كثيراً ، قال لي في هدوء وصِدق : اعلم ، هُناك أمرُ ما ، شيئاً مُختلفاً بكِ.**

**(١٨٢)**

**قُلت في قلق : أرجوك لا تقُل أن وقفتي مائلة ، مضى وقتُ طويل لم ارتدي فيه كعباً عالياً ، توقف أمامي وقال: أنتِ مُنعشه ، طبيعيّه جداً**

**(١٨٣)**

**ابتسم ابتسامة بيضاء كانت الأصدق منذ أن عرفته وأكمل أنا سعيد جدا لأني عرفتكِ . لم استطع أن أقول شيئاً فبادلته ابتسامه ضبابيّه ، بلا لون.**

**(١٨٤)**

**:ذهب إلى المطبخ وتنفست الصعداء ثم تبعته وأنا أقول لا ادري كيف أشكرك ، رأيته يأخذ الفطيرة الكاذِبة ويقدّمها لي قائلا: سأسهّل لكِ الأمر إذاً.**

**(١٨٥)**

**أربكتني نظرته وإبتسامته التي أظهرت غمازتية الجميلتين حين قال لي: هل تسمحين لي برؤيتكِ في الخمسين ؟ إرتخت يدي حتى كادت أن تسقط الفطيرة أرضا!**

**(١٨٦)**

**حاولت أن لا أُظهر له إرتباكي فقلت وأنا أستدير للباب: كي تؤكد لي أن كلامك صحيح ذلك اليوم؟ امسك ذراعي قبل أن اهرب وقال بصدق: لا كي أكون سعيدا.**

**(١٨٧)**

**إضطربت نبضات قلبي وأنا اسمعه يسترسل في الحديث فرحاً : اطمح برؤيتكِ بالخمسين والستين والسبعين ، أريد أن تكوني الشيء الذي أعود لأجله للبيت.**

**(١٨٨)**

**اختفى صوتُه وأنا أتأمّل ملامحُه ، حاجبُه الكثيف وإستقامه انفُه وشفتيه وشعر ذقنُه الخفيف، كيف لم ألاحظ مسبقاً هذا الشبه بينكُما ؟**

**(١٨٩)**

**أيّ مصيبة هذه التي ورّطتني مع رجُل يشبهُك، كيف لم ارى هذا وأنا دقيقه الملاحظة حتى إني لاحظتُ أُذناه الكبيرتان مُنذ اول مرّه رأيتهُ فيها.**

**(١٩٠)**

**إنه يقول أشياء جميله وأنا أفكّر بك ، كم أنا سيّئة جداً ، تخيّلتُه أنت رُغم فارق الطول بينكُما ، تمنّيت لو أنني اسمع هذا الحديث من فمُك !**

**(١٩١)**

**كُنت سأقفِز عليك واغرُس أصابعي في شعرُك وأخبرك أن نتزوّج الآن ، مساءً لن ننتظِر الصباح ، سيكون بعيداً جداً وإصبعي البُنصر لن يتحمّل.**

**(١٩٢)**

**أغمضتُ عيني خائبة حين أدركت انّك لا زلت حبيس قفصي الصدري وانّي متشبّثة بك أكثر مما كُنت أظن ، حقيقة أنّي لم أنساك هذِه مُصيبة عظيمه !**

**(١٩٣)**

**شعرتُ بيده تهبُط على خدّي فأنقذتني من هذا المنحدر الخطر في التفكير بك ، فتحتُ عيني وقلت له وأنا أصارع غصّة بُكاء عنيدة: لا ادري ماذا أقول ..**

**(١٩٤)**

**قال لي وعيناه تلمع في حُب : أعدُك أن أسعى بقيّه عُمري في إسعادُكِ ، ستكون هذه المرة الأخيرة التي تتذوقين فيها طعم البُكاء ، وبكيت فجأة !**

**(١٩٥)**

**حاول الإقتراب مني فابتعدت وأنا أقول له بشفتين ترتعشان: توقف أرجوك، لقد مررت في يوم عصيب كنت سأعد مجموعه كعك وانتهى المطاف بي في كعكة كاذبة !**

**(١٩٦)**

**ثم تركت الكلمات تتدفق من فمي دون تفكير: كان ممكنا أن يكون اليوم أفضل لو أن جارتي لم تلح علي لحضور الحفل وأنت لم تزورني وتقول لي هذا الكلام!**

**(١٩٧)**

**كُنت سأموت قهراً لأنه فتق لي جرحاً كُنت أظنني شُفيت منه تماماً ، أعادني إليك بعد أن اشغلني عنك ، شعرتُ كما لو انّه فعلها متعمّداً ، سأُجن !**

**(١٩٨)**

**سمعتُه يقول في هدوء : أنا آسف ، نظرتُ إليه وفي وجهه خيبه واضحة فاقتربت وقُلت له : لا ، أنا اعتذر يجب أن تخرُج الآن ، تأخّرت كثيراً !**

**(١٩٩)**

**قال بجديّه : لا اعتذر على ما قلته ، اعتذر لأن وقتي سيئاً ، مسح علي خديّ ثم طبع قُبله بيضاء على جبيني وقال قبل أن يُغادر : استمتعي في الحفل !**

**(٢٠٠)**

**في الواقع أنا لم استمتع أبداً بل كُنت ادعوا الربّ أن ينتهي هذا الحفل سريعاً كي اهرُب من العالم تحت مخدتي ، اهرُب منك ومنه ومن قلبي الأحمق !**

**(٢٠١)**

**شعرت أني الأكبر سناً بين نساء الحيّ ، لم استطع أن أشارك في الأحاديث الورديّة ، ماذا أقول ؟ أحببت رجلاً غبي وأحبنّي آخر مثالي قلبي لا يريده ؟**

**(٢٠٢)**

**كُل واحدةٍ منهُن تمتلك حكايا ملوّنه إلا انا حكاياتي جميعُها سوداء وإن قلّت سوءً تكون رماديّة ، لم أتحدّث كثيراً إكتفيت بالإبتسامات الباردة.**

**(٢٠٣)**

**كُنت في الحفل جسداً فقط روحي هاربه حيث لا ادري وعقلي مشغولاً في رجُلان احدهما اطول من الآخر ولا ترى عين قلبي إلا القصير الغائِب !**

**(٢٠٤)**

**جميع عثراتي في الحب تركت في قلبي رضوض إلا هذه العثرة أظنها ستسحقه ، كيف لهذا القلب أن ينبض للرجل الذي كان يشاركني اختيار الفساتين لمواعيدي !**

**(٢٠٥)**

**لما يجب أن يكون الحُب معقداً ! لما لا أحب الرجُل الطويل واترُك القصير خلفي كما تركني ، كان المساء طويلاً وكأنّه ألف سنةٍ لا صباحات فيها !**

**(٢٠٦)**

**عندما عُدت للبيت ، كُنت مرهقه وكأني تسلقتُ جبلاً عظيماً ، استهلكتُ طاقتي في التفكير حتى إني رميت نفسي على الأريكة وسقط حذائيّ العالي ونُمت !**

**(٢٠٧)**

**زُرتني في تِلك الليلة في حُلمي ، كُنت تلبس ملابس بيضاء وشعرُك مرتباً تقِف على عتبه بابي وتُخفي خلفُك زهره تُشبه التي قتلتُها بيديّ.**

**(٢٠٨)**

**استقبلتك بفستان مطبوع بالأزهار الملوّنة ، قصيراً يكشف نصف ساقي ، قدمتُ لي الزهرة وقُلت لي كم أبدو جميلة هذا الصباح ، فأندفع الدمّ إلى وجنتيّ.**

**(٢٠٩)**

**سحبتني إلى الخارج ومشينا في الطريق معاً ، مُتشابكة أصابعُنا ببعضها والزهرة مغروسة فوق أذني ، كُنت سعيدة جداً وخُطواتي تشبه خُطى الأميرات !**

**(٢١٠)**

**انطفئ نور الحُلم فجأة على وقع تُحفةٍ خزفيّة سقطت أرضاً ، فتحت عيني ورأيتُ النافذة مفتوحة والستائِر تتراقص مرحّبةً بعاصفة شتويّة غاضِبه**

**(٢١١)**

**حملتُ نفسي وأنا ارتعش برداً وأغلقت النافذة بصعوبة ثُم ألقيت نظره على التُحفه المحطّمة ، كُنت احتفظ بالورقة المتبقيّة من الزهرة داخلُها !**

**(٢١٢)**

**جثوت على رُكبتيّ ، ومررتُ يدي فوق الحُطام بحثاً عن الورقة، لم أكُن خائفة على يدي بقدر ما كُنت خائفة عليها من أن تكون قد تكسّرت !**

**(٢١٣)**

**خبأتها بين كفي قبل ان تلفظ أنفاسها الأخيرة ولم اذهب إلى غرفتي بل عدت إلى الأريكة التي احتضنتك يوما وغرقت بها، رائحتك مازالت عالقة في خيوطها.**

**(٢١٤)**

**كنت ادعوا الله وأنا في طريقي إلى المقهى أن يكون اليوم مزدحماً ، كي لا أجد وقتا للتفكير ، فتحت الباب وأنا أقول في نفسي: أرجوك لا تأتي اليوم !**

**(٢١٥)**

**حدث عكس ما تمنّيت تماماً ، كان يوماً بليداً أتاح لي الوقت كله للتفكير وما طلبت منه أن لا يأتي جاء مبكراً ، وعلى شفتيه ابتسامه جعلتني أتقلص.**

**(٢١٦)**

**قال لي : مرحباً ، أجبته وأنا اهرب من عينيه : أهلاً ، سألني بينما كنت أحاول أن اشغل نفسي في ترتيب الأطباق: كيف حالكِ ؟ قُلت في برود : جيّده.**

**(٢١٧)**

**انسحبت من المكان إلى الخزانة لكنه لم يتركني ، هبط ظله الطويل علي فبدأت أتوتّر ، قال وهو يحاول أن يسرق نظره إلى عينيّ : ما بكِ يا سمراء ؟**

**(٢١٨)**

**قُلت دون أن التفت له : لا شيء ، مشغولة قليلاً ، أدارني بيديّه من أكتافي وقال لي بلُطف : بماذا ؟ زبائنكِ هذا اليوم قليلون جداً ، ما بكِ ؟**

**(٢١٩)**

**لم استطع أن أتحدث أو حتى أن انظر إلى ملامحه كي لا أراك فيها، أحنى رأسه وقال: هل إختفى لسانكِ فجأة؟ تسللت من يديه وأنا أقول: سأعود إلى عملي.**

**(٢٢٠)**

**قال بجديّه : هل تتجاهلينني بسبب ما حدث في الأمس ؟ أغمضتُ عيني بشدّه ، هذا ما لا يجب أن يقوله الآن ، إلتفت إليه وأنا ابتسم بصعوبة وأقول: لا !**

**(٢٢١)**

**إقترب نحوي وقال بصوتٍ دافئ : إذاً ما بكِ ؟ لبرهة ، كنت سأقول له كل شيء ، سأخبره عنك وتورّطي الغبي بك لكن وجدت نفسي أقول في برود : لا شيء !**

**(٢٢٢)**

**حدّق في عيني طويلاً وأنا اقبض على يديّ في توتّر شديد ، ارتسمت على شفتيّه إبتسامه غامضة وقال : فهمت الآن ، وداعاً . وفي ظرف دقيقةً إختفى !**

**(٢٢٣)**

**تجمدت لا ادري هل أناديه أم ادعوا الرب أن تنشق الأرض وتبتلعني وكأن الزمن توقف فما عدت اسمع أصوات الزبائن ولم اشعر إلا بدمعه إنسابت على خدي.**

**(٢٢٤)**

**مضى النهار وأنا مخدّره ، لا اذكُر من أحداثُه شيء غير أنّي تركتُ رجلاً مثالياً يفلُت من يدي في كُل غباء ولأجل من ؟ رجُلاً آخر لا يستحق !**

**(٢٢٥)**

**رجُلاً غادرني كي يلحق بأُخرى ، تِلك التي رفعت يدي و وضعتها على قلبي كي أجدُه فيه ملكاً وسُلطاناً ، هي من أشعلت بي النار ورحلت وأخذتُه معها.**

**(٢٢٦)**

**حشرتُ نفسي فوق الأريكة كقطةٍ ضائعة تبحث عن الدفء وسط قُماشٍ مُبلل في الطريق ، بكيت في صمتٍ مُخيف وشريط الذكريات في رأسي يقتُلني في بُطء !**

**(٢٢٧)**

**أراني مرّه اضحك مع القصير لستُ وحدي فقط بل جميع أعضائي تُشاركني الضحِك واراني مرّه مع الطويل ابتسم في اطمئنان وقلبي يسبح بأمانٍ في صدري.**

**(٢٢٨)**

**كيف لي أن أقع في هذا المنحدر وأنا التي احرص على استقامة خطواتي دائماً ، اعتقد أن الحُب ذكياً بما يكفي كي يأخذني من يدي لأقع على وجهي بقوّه !**

**(٢٢٩)**

**ذكياً بما يكفي كي يجعلني أحب من كُنت أشاركه شطيرتي وألعابي ، ذكياً بما يكفي كي يُخفي هذا الحُب عني ، ذكياً بما يكفي كي يُبكيني كالأطفال.**

**(٢٣٠)**

**وأنا غبية بما يكفي لأدرك كُل هذه الحقائق في وقتٍ متأخّر جداً ، كان هذا كفيلاً بأن يقتُل الصمت ويُخرج أنّاتٍ مبحوحة من حُنجرتي وانا ابكي !**

**(٢٣١)**

**اليوم التالي كان يُنافس الجو في البرودة ، لم أراه لا في الصباح ولا في المساء ، كُنت أعيش صراع قاتل في صدري : أُريده أن يأتي ولا أُريد ذلِك !**

**(٢٣٢)**

**عُدت للبيت نِصف خائبة ونصف مُطمئنه ، اعددتُ لي طبقاً احمر -قطع الفراولة والتوت- وكوب حليب وجلستُ قُرب النافذة أتناولها في شرود وقلق !**

**(٢٣٣)**

**تأمّلت قطرات المطر التي تصطدم في زُجاج نافذتي وتشُق طريقها المتعرّج للأسفل، هبوطها من السماء حزيناً لذا تحتضُن النوافذ قبل ان تستسلم للموت !**

**(٢٣٤)**

**وضعت قطعه فراولة في فمي وأنا أُسند رأسي فوق كفّي وعيني تُتابع سباق القطرات ، كم ليلةٍ قضيناها معاً تحت المطر ؟ الكثير اثنتان منها لا تُنسى .**

**(٢٣٥)**

**الأولى عندما سحبتني للخارج قهراً وراقصتني في عبث، كنت اقفُز في خفّه بين يديك والمطر يرشّنا بعنف ، اذكر أني مرضت تلك الليلة وأنت لم تترُكني !**

**(٢٣٦)**

**الأُخرى كانت في حديقة الحيّ ، تحديداً تحت شجرة الصفصاف الكبيرة، كُنا سنقضي أمسيّه جافّه لكن المطر بللها وأعادنا اطفالاً يتسابقون ويضحكون !**

**(٢٣٧)**

**أشتاقُك جداً ولا استطيع أن ابتلع هذا الشوق بسهوله وادّعي تجاهلُه ، رُغم انّك لا تستحق ، كيف أتحتُ لك حريّه الغرق في رأسي الآن ، أنا أكرهُك !**

**(٢٣٨)**

**قبل أن أنام وضعتُ ورقه الزهرة في إناء وتركتُها كفناً لقطرات المطر المحظوظة التي ستسقُط فوقُها ، ثم غرستُ رأسي في جوف المخدّة وتمنّيت النوم.**

**(٢٣٩)**

**مضت أيامي قارصه، كنت اذهب للعمل بوجهٍ بليد وشعرُ مربوط للوراء في رتابه ، لم اعُد استجيب لمُمازحات زبائني اللُطفاء أصبحت هادئة بشكلٍ مُخيف !**

**(٢٤٠)**

**كُنت أعيد مسح الطاولة كلّما لمحت فيها قطرتين مالحتين إنحدرتا مِن عينيّ دون أن اشعُر ، كُل شيءٍ حولي يحتضِر حتى إنعكاسي الشاحِب في المرآة !**

**(٢٤١)**

**في حفل الشاي ذاك المساء غرقتُ في دوّامه تفكير جعلتني ابدوا بين نِساء الحي صفراء ، وكأن عواصف الأفكار في رأسي جفّفت الواني أنا والفُستان !**

**(٢٤٢)**

**كيف أكون بهذه الحماقة كي اترُك الرجُل الذي لم يسخر من بُكائي بسبب فطيرةٍ فاشلة وأتشبّث بمن كان يُضحكه مظهري وأنا ابكي ، يقول عنّي : بشعة !**

**(٢٤٣)**

**كان يشبهني بالقطة المشردة التي كانت تسكن بالحي الذي يعيش فيه، اذكر انه اختطفني من المقهى كي يأخذني إليها ، قال لي: هناك صبيّه جميله تشبهكِ !**

**(٢٤٤)**

**لم أنسى خيبتي الكبيرة عندما رأيت كُره من الصوف الرمادية مُضطجعة على سور الحديقة تنظر للمارّة بعينين فاتحتين ، كان يضحك وانا على وشك البُكاء !**

**(٢٤٥)**

**لم تكُن القطّه بشعة ، لكن وجهُها حزين جداً وأنا لستُ كذلِك ، اقصِد في تِلك الفترة عندما كان موجوداً ، هل أتمناه أن يعود ؟ حسناً ، لا ادري !**

**(٢٤٦)**

**لم استطِع أن أنام تِلك الليلة ، بقيتُ طيلة الوقت استعيد ذكرياتي مع القصير الأحمق والطويل المثالي ، وجدتُ نفسي بينهُما في كُل غباءٍ حائرة !**

**(٢٤٧)**

**ما خطبي؟ كيف لا زلت أفكر أيً منهما الأنسبُ لي، رغم أن القصير لم يطلب منّي أن أكون له ساقاً ثالثه في المشيب ، أو حتى كتفاً هزيلاً يتكئ عليه !**

**(٢٤٨)**

**اعلم انه لا يراني إلا صبيه يفشي لها أسراره ويدرك أنها لن تبوح بها لأحد ، يكون أمامها عارياً من الأقنعة ومطمئناً لأنها ستتقبله على أي حال !**

**(٢٤٩)**

**قطع تفكيري صوت المطر فقفزتُ كي افتح النافذة لأتفاجأ بأن السماء أصبحت بلونٍ بنفسجي فاتِن ، هل جاء الصباح باكراً أم أن الغائبيَن سرقا وقتي ؟**

**(٢٥٠)**

**كان الحيّ هادئاً وصوت وقع المطر لذيذ ، نوافذ المنازل سوداء ماعدا نافذتي مُضيئة، ماذا لو سألتني جارتي عنها؟ سأختلق كذبه حتماً، كم انا سيّئة !**

**(٢٥١)**

**لأوّل مرّه مُنذ فترةٍ طويلة اشعُر أني أتنفّس حقاً ، كيف سمحتُ لرجُل لا يستحق أن يُعطّل لي الحياة ويكون عثرة في قلبي تحول بيني وبين السعادة ؟**

**(٢٥٢)**

**أدركتُ في وقتٍ -أتمنّى أن لا يكون متأخّراً- ما أُريده، شخصُ طويلاً بما يكفي كي يأخذ من السماء نجمه ويضعها فوق أُذني، شخصُ بغمّازتين شهيتين !**

**(٢٥٣)**

**انطلقتُ إلى غُرفتي وسحبتُ من خزانتي معطفاً واقٍ من المطر وحذاءً طويلاً ومضلّه ، ماذا سيقول عنّي لو رآني أوّل زبونه تنتظرُه عند باب المكتبة ؟**

**(٢٥٤)**

**في كل خطوه أتقدّم بها للمكتبة تزداد نبضات قلبي، سلكتُ ممراً آخر كي أصل باكراً وكلّفني هذا خسارة مضلّتي حيث سرقها منّي لص صغير يركُض حافياً.**

**(٢٥٥)**

**خبأت رأسي تحت قبعة المعطف بعد أن تبللّ شعري وانكمش ثم اندفعت بخطى سريعة نحو المنعطف الأخير وتجمدت قدماي عندما رأيته قادماً من الشارع الآخر.**

**(٢٥٦)**

**حاولتُ جاهده أن انظُر إلى وجهه لكن المطر منعني من ذلِك ، كان يلبس ملابس سوداء ، يُحيط برقبتُه شالاً ثقيلاً ويحتمي تحت مضلّه ، كان مُختلفاً !**

**(٢٥٧)**

**ليس من عادته أن يفتِح المكتبة في هذا الوقت الباكر جداً ، ربما تغيّرت الأمور بعد أن غرستُ سكيناً في قلبُه وتركته ينزُف وحيداً ولأسبوعٍ كامل**

**(٢٥٨)**

**توجّهت نحوه ويدي على قلبي ،رأيتُه يدّس يده في جيبُه ويُخرج المفتاح ،انفلت من فمي صوتاً مُتعباً يُناديه ،لم يسمعني فركضتُ وأنا اهتُف بإسمُه.**

**(٢٥٩)**

**إلتفت إليّ واتضحّت لي ملامحُه عندما اقتربت وأنا التقِط أنفاسي وأقول : أنا اعتذر جداً على كُل شيء، اعلم أني تصرفت بغباء وخدشتُ قلبُك الطيّب.**

**(٢٦٠)**

**نظرتُ إليّه بصمت وشفتاي ترتعشان برداً، كان واقفاً في سكون يتفحّصني ببرود ، أكملت حديثي في يأسٍ واضح: أرجوك سامحني وعُد، اشتقتُ إليك كثيراً**

**(٢٦١)**

**قُلت له وأنا أُصارع عبرة خنقتني : أرجوك ، لا أُريد خسارتُك ، خرج صوتي رفيعاً عندما أكملت : أُريدك أن تكون معي عندما ابلُغ الخمسين ، أرجوك.**

**(٢٦٢)**

**إقترب نحوي ثُم توقف أمامي، رفع يدُه ليكشُف عن وجهي الحزين المُختبئ تحت القُبعة، قال لي: لن تكوني مُختلفة أبداً، رُبما أكثر شباباً من الآن.**

**(٢٦٣)**

**هطلت على قلبي سعادة ضخمه حتّى أخرستني عن الحديث، قال وعيناه تتأمّل وجهي المُبلل: سأكون شاكرا لله لو جعل هذا الوجه هو أوّل ما أراه كُل صباح.**

**(٢٦٤)**

**ابتسم وأردف بصوتٍ جميل : هُناك أمران تجنّبيهما في خلافاتنا القادمة ، أن لا تأتي في يومٍ ماطر وان لا تُكرري "أرجوك" بعينين حزينتين كالأطفال.**

**(٢٦٥)**

**رُغم انّي كُنت انتفض برداً لم أشأ مُغادره هذا المكان ولن أمانع لو بقيتُ طيلة حياتي هُنا أتشارك مع هذا الرجُل مضلّتُه السوداء وقلبُه الأبيض.**

**(٢٦٦)**

**لا ادري هل تركت بوّابه أحلامي مفتوحة كي يخرُج منها هذا النهار اللذيذ الذي قضيناهُ معاً، كنت اسعد قطعه سمراء على هذا الكوكب ، أنا لا أُبالغ!**

**(٢٦٧)**

**لأوّل مرة في تاريخ حياته يضع مكتبته جانباً ويقضي اليوم برفقة صبيّه، قال هذا لي بينما كُنا نعبُر الشارع ، ضحكتُ مسرورة رغم أني لم أصدقه**

**(٢٦٨)**

**لم يكن الجو مناسباً للاحتفال أبداً، ومن يكترث؟ هذا اليوم لا يتكرر في العمر مرتين، لذا سحبته معي لنشارك الأطفال اللعب فاتسخت ملابسنا بالوحل.**

**(٢٦٩)**

**كان لطيفاً معهُم، إنحنى إليهُم وهو يتحدّث معهُم بهمس، تأملتُه بفخرٍ كبير، هذا من سأكمل بقيّه حياتي معُه، هذا من سيأخذني بيدُه إلى الجنّة.**

**(٢٧٠)**

**إرتبكت حين حول عينيه نحوي وغمّازة لذيذه ظهرت على وجنتُه ، كيف لي أن ارفُض فُرصةً كهذه؟ أن أكون شريكه رجل يمنحني طعم السعادة في كُل ابتسامه.**

**(٢٧١)**

**الأيام التي جاءت بعد هذا النهار كانت ألذ، تعرّضت لوعكةٍ صحيّة كانت خيراً لي، قربتني منه أكثر وأتاحت له الفرصة بأن يحسّن علاقتُه مع جارتي.**

**(٢٧٢)**

**لم تُحبّه في البداية لكنّها غيرت رأيُها بعد أن بُحت لها بما فعلُه معي في ذاك المساء ، قالت لي وهي تضحك : كُنت اشعر أن فطيرتُك لم تكن صادقه.**

**(٢٧٣)**

**كنت سعيدة جداً رُغم التعب، رؤيتهُما معاً على وفاق، المرأة التي اعتبرُها مثل أمّي والرجُل الذي يُحبّني ، شيئاً كافياً ليُبقيني سعيدة للأبد.**

**(٢٧٤)**

**قالت لي حين خرج وعيناها تلمع في حنان: أحسنتِ الاختيار ، إبتسمت لها وقُلت: مُتأكدة من هذا؟ هزّت رأسُها في هدوء ودمعه طاهرة إنحدرت على خدُها.**

**(٢٧٥)**

**غادرتني جارتي بعد أن إطمئنّت عليّ تماماً ، أشعلت المدفئة في غرفه المعيشة وغلّفت لي شطيرة قرب السرير بجانبُها كأس حليب دافئ ، كيف لا أحبّها ؟**

**(٢٧٦)**

**حياتي أصبحت مثاليّه ، شيئاً من الخيال ، عُدت فراشةٍ راقصه في العمل صباحاً وفي مُنتصف النهار طِفله مُدلله معُه ، حتّى لحظات الغروب الأخيرة.**

**(٢٧٧)**

**سألتُه مرّة : لو أن الجمادات حولنا تتحدّث ، ماذا تظُنها تقول الآن ؟ ، أشار إلى الورود وأجاب : جميعُها ستشتُمكِ من الغيرة ، قُلت : هذا جميل.**

**(٢٧٨)**

**ثم رفع عينيه إلى الشجرة التي كُنا نجلس تحتُها وقال مُبتسماً : هذِه لن تقول شيئاً لنا، لكنها ستحكي للمارّة عنّا، ستقول أشياءً رائعة، مثلُكِ.**

**(٢٧٩)**

**أسندتُ رأسي على كتفُه وقُلت له : وماذا عن السماء ؟ شعرتُ بيدُه تهبُط في رأسي ثم أجابني بهدوء : ستبكي ، لأنّها لا تُريد أن تُفرّقنا أبداً**

**(٢٨٠)**

**هبّت رياح فجأة وارتفع صوت حفيف أوراق الشجرة ،رفعت عيني إليه ولمحت في وجهه حُزن أخافني، قلت له وفي عيني طبقه مالحة : سأدعو أن تأخذني أولاً.**

**(٢٨١)**

**شاركتنا السماء البُكاء ذاك اليوم، خبّأتني في صدرُك بشدّة خشيه أن تأخُذني منك، لا زلت اذكُر صوت نبضات قلبك السريعة وهمسُك في أُذني : احبّكِ.**

**(٢٨٢)**

**فكرة خسارتُه تِلك اللحظة كانت عنيفة على قلبي ، لا ادري ما إذا كُنت واقعه في حُبّه لكن قُربه أكون سعيدة ، اسعد مِن أيّ وقتٍ مضى في حياتي.**

**(٢٨٣)**

**"احبك" مازالت عالقة في فمي لا استطيع إخراجها أو ابتلاعها، هي باقية في المُنتصف وهذا الشيء يقتلني، كيف ترفض الخروج لأجل رجل لا يعاني من خلل ؟**

**(٢٨٤)**

**زُرته احد الأيام في المكتبة ومعي فطيرة الفانيللا التي يُحبها وسلّه وضعتُ بها وجبة غداء لأثنين ، كان مشغولاً فبقيت بعض الوقت ، اكتشفُه أكثر.**

**(٢٨٥)**

**لمحتُ صندوقاً ورديا على احد الرفوف وسألتُه عنه فقال لي مُبتسماً : ذِكرى مِن حُبٍ سابق، قلت وأنا اشعر بشيئاً من الغيرة: ولِما تحتفظُ بها ؟**

**(٢٨٦)**

**ترك ما في يدُه وجاء إليّ قائلاً : لأن صاحبتُه هي مَن جعلتني الرجُل الذي يقِف أمامُكِ الآن ، ابتلعت ريقي بصعوبة وقلت : إذاً لما انفصلتُما ؟**

**(٢٨٧)**

**اخذ الصندوق من يدي وتفحّصه متبسماً وكأنّه يستعيد في رأسُه ذكرياتٍ جميلة ثُم قال : لأنها هاجرت ، نظر إليّ وأكمل : ولأنّكِ المرأة التي أُريد.**

**(٢٨٨)**

**"إذاً لِما لا تتخلّص منه ؟" خرج هذا السؤال من فمي دون تفكير وبنبرةٍ قويّة ، صمت قليلاً يتأمّل عينيّ ثُم نطق : ولِما لا تتخلّصين من الورقة ؟**

**(٢٨٩)**

**اتسعت عينيّ وشعرتُ برجفةٍ في صدري هزّتني، وضع الصندوق جانباً وقال : رأيتُها صُدفه ولم أسألكِ عنها، أردتكِ أن تخبريني بنفسكِ، لكن لا بأس.**

**(٢٩٠)**

**وضع يديّه على أكتافي وأردف بصوتٍ دافئ : هُناك أشياء نرتبط بها في الماضي ، كانت حدثاً جميلاً ذات يوم يصعُب التخلّي عنه ، هل تتفقين معي ؟**

**(٢٩١)**

**أومأت رأسي بهدوء ثم إحتضن وجهي بكلتا يديّه واكمل في حب : لن أسألكِ عنها لأنها شيءُ من الماضي وأنا مشغولاً الآن في أن أكون الحاضر والمستقبل.**

**(٢٩٢)**

**عاد إلى مكتبُه وبقيتُ متجمّدة في مكاني ، شيئاً ما في صدري فاق ، إستيقظ بعد سباتٍ طويل ، وفي الحقيقة أنا لا أُريد أن اعرفُه أبداً.**

**(٢٩٣)**

**أعادني صوته الجميل وهو يقول: أنّي أموت جوعاً، هلّا سمحتِ لنا بالخروج الآن؟ رأيته واقفاً عند الباب يحمل السلّة ونِصف الفطيرة، ابتسمت وتبعته.**

**(٢٩٤)**

**تأملني قبل أن نخرج طويلا ثم ابتسم ابتسامه وضّاءة وطلب مني ان امسك بالسلة والفطيرة وعاد للداخل وراقبت خطواته وهو يقول: هناك شيء يجب أن افعله.**

**(٢٩٥)**

**رأيته يأخذ الصندوق ثم يرميه في سلة المهملات إلتفت إليّ وقال بحُب : لا أريد أن يربطني بالماضي شيءً غيرُك. شعرت بغصّة وأصبحت رؤيتي له مبللة.**

**(٢٩٦)**

**مسح دمعتي بإصبعه ثم طبع قُبله في مكانها. رفع عينيه الفاتحتين إلى عينيّ وقال : ستفعلين الشيء نفسه إذا كنتِ مستعدة. ثُم ابتسم وبكى قلبي حُباً.**

**(٢٩٧)**

**منحني الله ملاكاً على هيئه رجُل. كيف أكون حائرة الآن ؟ كيف يرفُضه قلبي بكُل غباء وكيف لي أن ارضَخ لرغبتُه الحمقاء بالتشبّث بالغائِب.**

**(٢٩٨)**

**آهٍ لو أننا نملُك حق الإختيار. لو أن النِسيان شيئاً سهلاً كالوقوع في الحُب. لو أن للعقل سُلطه على القلب. لكان الحُب شيئاً جميلاً دائماً.**

**(٢٩٩)**

**كانت ليلة الإحتفال السنويّة في الحي. عادة لطيفه نُقيمها كي نشكُر بعضُنا ونقدّم الحُب للراحلين ونحتفظ بالذكريات الجميلة ونحرُق السيّئة منها.**

**(٣٠٠)**

**يتكفّل الرجال بإشعال النار وتتكفّل الجميلات في الغذاء والشراب. هُناك بائِع الحلوى وبائعه البالونات والألعاب. والكثير من القلوب الطيّبة.**

**(٣٠١)**

**أحضرتُ معي كعك الزنجبيل المُحَبب إليهُم. إستقبلني الصغار في حُبٍ كبير طمعاً فيما احملُه بين يديّ. إرتفع صوت الأمّهات : كونوا لُطفاء.**

**(٣٠٢)**

**ألقيت التحيّة على الرجال في طريقي ثُم اندفعت إلى النساء وساعدتهُن في الترتيب للإحتفال. كان الجو رغم البرودة دافئاً على قلبي. محفّز للسعادة.**

**(٣٠٣)**

**قرصتني جارتي ثُم همست: لقد جاء. إلتفت للوراء ثُم لمحتُه يقترب بهيئة طبيعيّه وإبتسامة جذّابة. تركتُ ما في يديّ وأسرعتُ إليه بوجهٍ متورّد.**

**(٣٠٤)**

**قال : اهلاً. اجبتُه: اهلاً بك. تأخّرت قليلاً. قال بصوتٍ هامس: في الحقيقة كُنت حائراً. قُلت: في ماذا؟. قال: في الشيء الذي سأُحضرُه معي.**

**(٣٠٥)**

**ثم أخرج من خلفه باقة ورد بيضاء جميلة وأخفى نصف وجهه خلفها قائلا: هل سأكون بخيلاً في نَظر جيرانك؟. ضحكت وقلت: ستكون مخالفاً لقوانين الإحتفال.**

**(٣٠٦)**

**أخذتُ الباقة ثُم قُلت: الرجال لا يجلبون معهُم شيئاً. يُشعلون النار فقط. تنفّس الصُعداء وقال بإرتياح: حمداً لله أنّي تركت الحلوى في المنزل.**

**(٣٠٧)**

**ضحكت وقُلت له: لو انّك لم تترُكها لكان الموقف مضحكاً كثيراً. قد يخدُش رجولتُك. وقبل أن يُجيبني مسكت يدُه وسحبتُه معي كي أُعرّفه على الجميع.**

**(٣٠٨)**

**أصبح في وقتٍ قياسي صديقاً لهُم. أحبّتُه الجارات ثُم اختلط صوتُه بأصوات الرجال وتعالت ضحكاتهُم معاً. كُنت فخورة جداً به. حدّ البُكاء سراً.**

**(٣٠٧)**

**كانت ليلة جميلة. تحدّثنا وضحكنا ولعبنا معاً. ربحنا مرّة وخسرنا ثلاث مرّات ولم نتوقف عن الضحِك. قالت جارتي: إحتفظي به جيداً ثُم إختفت ضحكتي.**

**(٣٠٩)**

**في مُنتصف الليل. غابت الأجساد الصغيرة وأصبح المكان فارغاً من الألوان. كُنت أقِف بعيده أتأمّل في البعيد. الحياة تمُر من أمامي وأنا متجمّدة.**

**(٣١٠)**

**شعرت بيدٍ حانية تهبُط على كتفي. ثم سقط على أُذني صوتاً أبيض: ما بكِ؟ إبتسمتُ لجارتي وقلت لها: اشعُر بالإرهاق قليلاً. قالت: أخبريني الحقيقة.**

**(٣١١)**

**نظرت إلى عينيها طويلاً. كأن الله وضع فيهما حنان الكون كله. قالت لي: أنتِ لا تبدين سعيدة وأنا قلقه عليكِ. قلبي يقول أخبريها وعقلي يقول أصمتي.**

**(٣١٢)**

**أنقذني من حيرتي صوته المثير قائلاً لها: هل تسمحين لي بسرقة هذه الجميلة. قالت له: عِدني أن تجعلها سعيدة. نظر إليّ قليلاً ثم قال ببرود: أعدُك.**

**(٣١٣)**

**سبقتُه في الحديث كي لا يقول شيئاً أخشاه: هل استمتعت في الاحتفال؟ دسّ يديه في جيبي بنطالُه ثم أجابني: كثيراً، أنتِ محظوظة جداً بأهل هذا الحي.**

**(٣١٤)**

**تبسّمت وقلت له: أعلم. إلتفت إليّ وقال : أنا أحسدكِ على هذه الحياة. أصدقاء من ذهب وحيٌّ تفوح منه رائحة الحُب ورجل يهيم بكِ عشقاً.. ضحكت فجأة.**

**(٣١٥)**

**انفلتت من شفتيه ضحكه مثيرة وقال : ضحكتكِ لذيذة. تورّد وجهي واكتست ملامحي حُمرة جعلتني أشيح بعيني بعيداً عنه ، كنت اشعر بنظراته تسري في دمي.**

**(٣١٦)**

**شعرتُ بأصابعه تتسلل إلى يدي لتملأ الفراغات بين أصابعي، نظر إلي في حُب باذخ وقال بنبرة جعلت قلبي يذوب: لا أجد سبباً يبرر هذا الحزن في عينيكِ.**

**(٣١٧)**

**شعرتُ لأوّل مرّة بطعم المرارة في حديثُة معي، كنت مؤمنة أن هذا الفم الجميل لم يُخلق سوى للأحاديث التي تسقط في أذني كالسكاكر والفطائر الحُلوة.**

**(٣١٨)**

**ماذا لو أخبرتُه السبب الحقيقي ؟ هل ستكون قبضتُه على يدي قويّه كما هي الآن أم أنها سترتخي ، وجدتُ نفسي أتأبّط ذراعه وأرمي برأسي الثقيل علية.**

**(٣١٩)**

**صدرُه الوطن وذراعيّه السماء. كيف لي أن أفرّط في هذا النعيم ؟ تشبّثت به بعد أن خنقتني رائحة فقدانه وقُلت بصوتٍ موجوع: أنا لا أريد خسارتُك.**

**(٣٢٠)**

**قبّل رأسي ويدُه تعبر شعري لتستقر أخيراً على كتفي ، قال لي وعينيّة تلمع في صدق : لن أرحل أبداً. هل أحس بأني ضحيّة رحيل احدهُم ؟ هل قرأ قلبي !**

**(٣٢١)**

**قضيت بقيّة الليل هُنا في هذا المكان. قلبي قُرب قلبُه ورأسي يتنقّل بين صدرُه وكتفُه وأصابعي تحتضن أصابعه، جلسنا معاً قُرب النار نتحدّث ونضحك.**

**(٣٢٢)**

**جميع عثراتي العاطفيّة عالجتُها بالنسيان والغُفران ، أنا استسلمت لنسيانُك وغفرت لقلبي حماقتُه في الوقوع بك ، أنت نُقطة سوداء في تاريخ حياتي.**

**(٣٢٣)**

**نحنُ في الحُب إما نتعثّر ونقع أو نتعثّر ونتكسّر ، وأنا معك مررتُ بالحالتين ، هل تُدرك إلى أي حدٍ أنا موجوعة ومخذولة ولا أشتهي عُمراً أنت فيه ؟**

**(٣٢٤)**

**أنا الآن بخير وفطائري لذيذة وقلبي صالِح للحياة ، أنا الآن فارغةٌ منك تماماً ولا أفكر فيك أبداً ، سعيدة مع الرجل الذي ترك الجنّة ليكون معي.**

**(٣٢٥)**

**"لما اخترت مطعماً في وسط المدينة يا رجُل" ضللتُ اكرر هذِه الجُملة وأنا اشتمُه في كُل مرّة أجرّب فُستاناً ولا يكون مناسباً، "سأقتلُه حتماً" !**

**(٣٢٦)**

**دعاني هذا المساء لتناول وجبه العشاء معاً في مطعم فاخر، رُغم انه يعلم أنّي لا أحب هذه الأماكن كثيراً، سأضطرّ أن ارتدي كعباً عالياً، يا الله !**

**(٣٢٧)**

**وقفت أخيراً أمام المرآة وأنا احشر نفسي في فستانٍ اسود وشعري منسدلاً على كتفٍ واحد ، اكتفيت بلونٍ احمر في شفتي وكحلة داكنة ، هل ابدوا جميله ؟**

**(٣٢٨)**

**وقبل أن أجيب على نفسي سمعت طرقاً على الباب فعلمتُ انّه وصل، كانت خطواتي ثقيلة ومتعرّجة، نزعتُ حذائي ورتّبت شعري في عبث ثُم أكملت طريقي !**

**(٣٢٩)**

**التقطت نفساً عميقاً ثم أغمضت عينيّ وفتحت الباب بهدوء ، قُلت بسرعة قبل أن يتحدّث : كيف ابدوا؟ ،تسلل صوتاً مألوفاً إلى أذني قائلاً : فاتِنة !**

**(٣٣٠)**

**فتحت عيني لأجد أمامي آخر شيء كُنت أتمنى رؤيته ، اضطربت أنفاسي ونبضات قلبي وأنا آمل أن يكون ما أراه سراباً لا حقيقة ، لقد عاد الأسمر القصير !**

**(٣٣١)**

**تجمّدت في مكاني وعيني تنظُر إليه طويلاً في دهشة واضحة. قال لي في برود : توقفي عن هذا ، التحديق بي لن يجعلني أختفي. ثُم دخل إلى بيتي بهدوء !**

**(٣٣٢)**

**استدرت إلية والمشاعر في صدري تتكدّس حتّى ضاقت علي أنفاسي. قُلت له : ما الذي جاء بك هُنا ؟، يبدوا أني فاجأتُه بنبرتي فقال لي : اشتقت إليكِ.**

**(٣٣٣)**

**اقتربت إليه وأنا أقول غاضبة: هل تتوقع مني أن أرتمي في صدرُك الآن ؟ قال : لا ، كُنت أطمح في قُبلة صغيرة فقط ، ثُم فتح لي ذراعيّه وابتسم !**

**(٣٣٤)**

**كان ينظُر إلى ملامحي بشوق ، اخفَض ذراعيّه خائباً ثُم تقدّم نحوي وهو يقول بجديّه لم أعهدها منه : أُريد أن أقول شيئاً لكِ ، أنا آسف جداً.**

**(٣٣٥)**

**توقف أمامي ، قريباً جداً من قلبي المُضطرب. أكمَل : أعتذر ، على ما قُمت به من حماقة و أريد أن تغفري لي ذنبي ، لأنّي أنا .. سألتُه : ماذا ؟**

**(٣٣٦)**

**"لأنّك أحمق ، غبي ، عديم القلب؟" سكت فجأة وأكملتُ سرد الأوصاف التي تليق به وقلبي يشتعل غضباً ، "أبله ، ساذج ، حقير ، عديم الرجولة" !**

**(٣٣٧)**

**رفع عينيّة إلي بعد أن نطقت آخر كلمتين وقد فاحت رائحة غضبُه ، قُلت له قبل أن ينطُق : نعم ، أنت عديم الرجولة وأنا لا أخاف من قول هذا لك الآن.**

**(٣٣٨)**

**برزت عروق رقبته العريضة وهو يصرّ على أسنانه من شدة الغضب ، بينما كُنت أقف أمامُه أحاول جاهدة أن لا أبكي وأخبره أنّي اشتقت إليه أكثر مما يظن.**

**(٣٣٩)**

**أمسكني بالقوّة من ذراعيّ وقال لي في غضب هزّني بعُنف : أنا فعلاً أحمق لأني تركتكِ وغبي لأنّي رحلت دون أن أخبرك لكن رجُل رُغماً عنكِ ، فهمتِ؟**

**(٣٤٠)**

**قُلت له وشفتيّ ترتعشان : أنت تركتني بعد أن أحببتُك. كان صوتي مبحوحاً وعينيّ غارقتان بالدموع ، تركني بهدوء ثم قلت وأنا أبكي : ذهبت تبحث عنها.**

**(٣٤١)**

**أجهشتُ في البُكاء وأنا أقول له : انتظرتُك طويلاً ، لم اصدّق أنّك ذهبت تبحث عنها وتركتني وحيدة ، تركتني بعد أن تضاعفت حاجتي لك ، أنت خذلتني.**

**(٣٤٢)**

**الدموع التي أهدُرتها كانت كفيلة لتُعيد فتق الجروح القديمة ، لتحرقني ألف مرّة بملوحتها الشديدة ، كُنت أموت أمامه وهو ينظُر إليّ ببرود قاتل.**

**(٣٤٣)**

**لم أتمالك نفسي فضربته في صدره وأنا أبكي بشدّة وأشتمه ، أمسكني وصرخ في وجهي : أصمتي يا حمقاء و اسمعي ما سأقوله لكِ الآن، شعرتُ أن قلبي توقف.**

**(٣٤٤)**

**قال لي : ذهبتُ إليها وأعادتني إليكِ ، أدركتُ أنّي أحبّكِ أنتِ ولا أحد غيرُك. حاصرتني عينيّه الجميلتين وأفقدتني إحساسي في كُل شيء ، عداه !**

**(٣٤٥)**

**أقِف أمامُه وأذني تسمع حديثاً لطالما تمنّتُه وانتظرته طويلاً ، كُنت انصهر بين يديه ، أذوب حُباً وشوقاً وخيبةً لأنّي لا زلتُ أُريده في قلبي.**

**(٣٤٦)**

**هل سأرضخ لهذه الرغبة التي تقتُلني ، أن أُطل على العالم من فوق كتفيه وترتفع قدمي لتُغيض بها الانتظار، سبحان من جعل في وجهه فتنة الكون كلّه.**

**(٣٤٧)**

**وجدتُ نفسي أبتعد عنه وأتجه نحو الباب ، فتحتُه وقُلت له : أُخرج ، كان مصدوماً لدرجة انّه فقد قُدرته على الكلام ، قُلت بإصرار : أُخرج الآن.**

**(٣٤٨)**

**شعرتُ بعبرة تخنُقني وأنا أقول له : لدي موعد وسيأتي بعد قليل ، لا أُريد أن يراك هُناك ، نظر إليّ بصمت ثُم نطق : سأختبئ إذاً لكن لن أُغادر.**

**(٣٤٩)**

**صرخت : قُلت لك أُخرج ، لا أُريدك في حياتي . اقترب نحوي وهو يقول : أخبرتني كُل شيء ، لِما لم تقولي لي الحقيقة ؟ أنّكِ تُحبينني ، أخبريني.**

**(٣٥٠)**

**ابتسمت في مرارة وأجبتُه : لأنّي كُنت بالنسبة لك شيء غير مرئي ، أنا التي تغيب عنها وتطمئن أنّك ستجدُها إن عُدت . كيف أخبرك أنّي أحبّك إذاً ؟**

**(٣٥١)**

**نظرتُه لي جعلت قلبي ينفطِر ، قُلت له : تأخّرت كثيراً ، لدي حياة كاملة الآن تنتظرني في الخارج ، ثُم خرجت من البيت وجلست أبكي على عتبة بابي.**

**(٣٥٢)**

**خلفي يقف الرجُل الذي قتلني انتظارُه وأمامي رجُل ينتظرُني كي يكتمِل ، أنا عالقة في المُنتصف كعنقود الكرز اليابس ، حائرة هل أتقدم أم أتراجع !**

**(٣٥٣)**

**كل شيء كان مثالياً، لما عُدت الآن ؟ هل يُضايقك أنّي مضيت ولم أتعطّل عن الحياة ؟ هل تشعُر بلذّة في كُل مرّة تقتُلني وتسرق منّي ألوان السعادة ؟**

**(٣٥٤)**

**بكيت كالأطفال ، كان وجهي قبيحاً مُبللاً وشعري الذي قضيت في تسريحة نصف الوقت هبط في خيبة وراء ظهري ، قلبي يقضُمه الوجع ويتضاءل حجمُه.**

**(٣٥٥)**

**هبّت نسمة قارسة البرودة جعلتني أرتعش وأتقلّص ، مسحت دموعي ثم وقفت أتأمّل الطريق ، لم يأتِ بعد ، كتّفت ذراعي بشدّة وأطراف أصابعي كقطع الجليد.**

**(٣٥٦)**

**كُنت سأعود للبيت لآخُذ معي معطفاً لكنّ عدِلت عن هذا لأنّي أعلم أنّه لم يُغادر ، وأنا لا أُريد أن أبقى معُه في مكانٍ واحد لبضع دقائق فقط.**

**(٣٥٧)**

**أُريده معي في الجُزء الآخر من عُمري، أُريد أن نُدفن معاً ونعيش الحياوات الأُخرى معاً، أُريد أن نعود شباباً ونشيب سوياً ، مرّة واحدة لا تكفي.**

**(٣٥٨)**

**كُنت أقِف قُرب عامود الإنارة ، جسداً خاوياً فقد تركتني روحي عندما غادرتُ البيت ، لا أدري هل ازدادت برودة الجو أم أن جسدي النحيل يحتضِر!**

**(٣٥٩)**

**أمامي ليلة طويلة أقضيها مع الرجُل الذي مدّ لي يدُه لينتشلني من وحل الانتظار ، تأملتُ انعكاسي على زُجاج العامود ، يجب أن أكون جميلةً لأجلُه.**

**(٣٦٠)**

**أخرجتُ من حقيبتي أحمر الشفاه فلمحتُ في الأرض بُقع لامعة ، نظرتُ للسماء فسقطت على عيني قطرة ماء ، فركتُها لأترُك دائرة سوداء بشعة حول عيني.**

**(٣٦١)**

**هربتُ قبل أن تتسارع قطرات المطر للهبوط في الأرض ، احتميت عند باب بيتي ، لا أظُن أن هُناك شيء يُمكن أن يجعل هذا المساء أكثر سوءً من هذا.**

**(٣٦٢)**

**نظرتُ إلى الطريق علّني ألمحُة قادماً لكِن لا أحد هُناك ، الشارع فارغ من كُل الأرواح ، والمطر لم يترُك للجفاف مكاناً ماعدا في قلبي الحزين.**

**(٣٦٣)**

**شعرتُ بشيءٍ دافئ ينسدِل على أكتافي العارية ، التفتُ لأجد الأسمر ينظُر إلي وهو يُغطي جسدي البارد بسُترته الثقيلة ويقول في اهتمام : تعالي معي.**

**(٣٦٤)**

**لم أجِد في نفسي القوّة لأرفض هذا فتركتُه يأخُذني معه داخل البيت بهدوء وشيء ما في داخلي يقول أن من انتظرته في هذا الجو القارص لن يأتي ، خيبة.**

**(٣٦٥)**

**جلست على الأريكة وحدي بينما غاب هو لثوانٍ ثم عاد وفي يدُه كأس ماء ، قدمه لي وهو يقول : يؤسفني أنّه لم يأتِ ، نظرت إليه وقلت : أنت سعيد جداً.**

**(٣٦٦)**

**ابتسم لي وقال : لن أجِد شخصاً يفهمني كما تفعلين أنتِ ، أخذت الكأس من يدُه وقلت له في مرارة : لن أجد شخصاً يقتُلني بوحشيّة كما تفعل أنت.**

**(٣٦٧)**

**سألتُه : هل تذكُر هذا الكأس ؟ ، وقبل أن يتحدّث أجبت على سؤالي : إنه الكأس نفسه الذي محوتَ به ما تبقّى من كرامتي تِلك الليلة ، هل تذكُر ؟**

**(٣٦٨)**

**صمت طويلاً يتفحّص الخذلان في عيني ، قُلت له : أنت لا تُدرك حجم خطيئتُك حتّى الآن ، بعض الخطايا في الحُب غير قابلة للغُفران ، ولو بعد سنين.**

**(٣٦٩)**

**وضع يدُه على يدي فكانت دافئة حتّى أذابت الجليد في أصابعي، قال لي بصوتٍ ساحر: الحب يعني قدرتك على الغُفران والتسامُح، الغضب يُطفئ بصيرة الحب.**

**(٣٧٠)**

**زادني حديثُة الجميل غضباً فقُمت من مكاني وقُلت له : كيف تأتي من العدم فجأة وتُسرد لي حكماً في الحُب ، أنت في هذا الشيء تحديداً فاشِل جداً.**

**(٣٧١)**

**توقف أمامي وقال لي بحدّة : لم أعُد كي ترفُضيني ، عُدت كي أكون معكِ شئتِ أن أبيتي ، اختلّ توازني فتماسكت وصرخت في وجهه : لست دُميتك القديمة.**

**(٣٧٢)**

**زمجر غاضباً : لما أنتِ حمقاء إلى هذه الدرجة ؟ كُنتِ واقعة في حُبي مُنذ الطفولة ولم تُدركي هذا إلا بعد أن أخبرتكِ غريبةً ما في الطريق !**

**(٣٧٣)**

**غريبة ! الآن أصبحت غريبة بعد أن ذهبت تبحث عنها وكأنّك أضعت معها حياتُك وسعادتُك، الغريب في هذا كُله هو أنت ، كأنّي لم أعرفُك يوماً في حياتي.**

**(٣٧٤)**

**أصبحت رؤيتي له مشوّشة ولم أجد في نفسي طاقة للشجار سمعتُه يقول : وتقولين عنّي فاشلُ في الحُب ! ، ثُم فقدت إحساسي في كُل شيء وانطفأ النور.**

**(٣٧٤)**

**لم أنسى إحساسي بيديك التي ظلّت تحتفِظ بيدي بينهُما ، طيلة الفترة التي قضيتُها في الظُلمة ، كلّما اشتهيت الموت وجدت في حُبك رغبة للعيش طويلاً.**

**(٣٧٥)**

**هل سأكون أنانيه إن اخترت سعادتي وإن كان في هذا موت أحد الرجال الطيبين؟ السعادة لا يمكن أن تتضمّن في أطرافُها قلوب ميتة، السعادة لا تقتل أحد.**

**(٣٧٦)**

**أسوأ ما في الحُب هو أن يكون لقلبُك السُلطة المُطلقة على جسدُك وعقلُك ، قد يجرّك من النعيم إلى الجحيم ، وأنا الآن في مُنتصف الطريق ، حائرة.**

**(٣٧٧)**

**ليت كل الأشياء سهلة كإعداد الفطائر والابتسامة في وجوه الزبائن، ليت الحياة لا تختلف خارج المقهى وفي حفلات الشاي وتجمع الأصدقاء في وضح النهار.**

**(٣٧٨)**

**في الجنّة لم أبكي يوماً من الوجع ، كُنت أبكي على أشياء حدثت قبل أن أدخُلها ، ذكريات تربُطني برجُل لا يختلف عنّي في الحماقة والحُب والكبرياء.**

**(٣٧٩)**

**في الصباح صحوتُ مفزوعة ، كُنت أرتدي الفُستان نفسُه وأنا في السرير ، أشعُر بدوارٍ مُزعج ، بصعوبة سحبت نفسي من على السرير وخرجت من الغرفة.**

**(٣٨٠)**

**صُعقت عندما رأيت جارتي في المطبخ ، ما إن رأتني حتّى هرعت إلي وهي تقول في تعاطُف كبير : آسفة حبيبتي ، آسفة جداً لِما حدث أنا هُنا لأجلُك.**

**(٣٨١)**

**جرّتني إليها وعصرتني في حضن طويل وأنا متجمدة، وضعت كِلتا يديها على وجهي وقالت لي : أعرف الحل المُناسب للخيبات في الرجال، قهوة ومناديل ورقيه.**

**(٣٨٢)**

**سبقتني إلى المطبخ قائله: الكثير من المناديل الورقية، قلت في بلاهة : أنا لا أفهم، أجابتني :فستان وآثار دموع سوداء، معالم خيبة رائحتها رجل غبي.**

**(٣٨٣)**

**توقفت لحظه أسترجع أحداث الليلة الماضية، أوّل صورة رأيتها في رأسي هي صورتُه فقُلت لها وأنا أحاول أن أتماسك: هل كان في البيت أحد عند مجيئكِ ؟**

**(٣٨٤)**

**قالت وهي تضع الماء على النار : لا ، ثُم رفعت رأسها إلي وسألتني : لماذا ؟ ، شعرتُ بغصّة وقُلت على عجل : لا شيء ، سأستحم ، شكراً على كل شيء.**

**(٣٨٥)**

**ابتسمَت لي واستدرت كي أهرب قبل أن تلمح بريق الماء المالح في عيني، كانت خطواتي لغرفتي ثقيلة وحزينة وخائبة، فعلها مرّة أخرى ، سرق قلبي واختفى.**

**(٣٨٦)**

**تمنّيت لو أن الماء يغسل قلبي من الهم والحُزن والحُب ، أردتُ أن أخرُج من غُرفتي بهيئتي القديمة ، فُستان أبيض وشعرُ مربوط و وجهُ بلا مساحيق.**

**(٣٨٧)**

**أردت أن أعود الصبيّة التي تصنع الفطائر والكعك بمكوّنات السعادة ، أردت أن تعود أصابعي ملوّنة وابتساماتي قابلة للتذوّق ، مللتُ كوني رماديّة.**

**(٣٨٨)**

**حاولتُ أن أقنع جارتي أنّي بخير لكنها لم تقتنع أبداً ، قالت لي إن البُكاء سيُشعرني بالارتياح، لو أنّه يفعل أعدُك أن أبكي حتّى تبّيَضُّ عيني.**

**(٣٨٩)**

**ذهبتُ للعمل بقلبٍ بليد ، وقفتُ طويلاً في المطبخ أفكّر أيُّ صنفٍ من الفطائر عليَّ تحضيرُه ، فطائر التفّاح أم الليمون أم الكعك الضاحِك ؟**

**(٣٩٠)**

**أعددتُ أصنافاً كثيرة ، وضعتُها فوق الطاولة بعد أن نظفتُها ومسحت الطاولات، في وقتٍ قياسي ازدحم المكان بالزبائن، شعرتُ أنّي عُدت للبيت أخيراً.**

**(٣٩١)**

**كنت أشعر بوخزه في قلبي كلما سمعتُ صوت الجرس المعلّق أما الباب، أخشى أن يكون الشخص الذي لا أتمنّى رؤيته وفي الحقيقة لستُ متأكدة أيُّ منهُما !**

**(٣٩٢)**

**خيّم الليل واستيقظ القمر وحان موعد العودة للبيت ولم أراهُما طيلة النهار ، أغلقت المقهى وخبّأت يديّ في جيبي وتركت أقدامي تأخُذني لمُنعطف آخر.**

**(٣٩٣)**

**رأيتُه يعبُر الشارع بظِلّه الطويل ، ملأت جوفي بالهواء ثُم أطلقتُه بهدوء وتقدمّت نحوه في تردّد ، كُنت أتقلّص في كُل خُطوة تقرّبني إليه أكثر.**

**(٣٩٤)**

**رَبتُّ على كتفُه فألتفت إليّ وعندما تعرّف على وجهي استرخت ملامحُه الحادّة ، قُلت له : أهلاً، قال : مرحبا ، سألتُه : هل لديك دقيقة لنتحدّث ؟**

**(٣٩٥)**

**ابتسم في برود وقال : لديّ أكثر من دقيقة ، ثُم سمح لي بتأبُّط ذراعُه وهو يقول : منزلي قريبُ من هُنا ، عبرنا الطريق معاً ، كان الحي دافئ جداً.**

**(٣٩٦)**

**كان المنزل تقليدياً، أثاث خشبي بسيط والكثير من رفوف الكتب ، أشعَل المدفئة وأعتذَر عن الفوضى ، ثم أعد القهوة وجلسنا معاً على الأريكة العريضة.**

**(٣٩٧)**

**كان هادئ بشكلٍ مُريك ، سألتُه : لِما لم تأتِ البارحة ؟ ، لم يرفع عينُة إليّ وقال وإصبعُه يدور حول الكوب بشرود : لقد جِئت ، ورأيتُكِ أيضاً.**

**(٣٩٨)**

**عقدتُ حاجبيَّ وهتفت : ماذا ! ابتسم حينها وقال : نعم، جئت متأخّراً لأنّي أعلم أنكِ ستأخُذين وقتاً أطول في الاستعداد وسمعتكُما تتشاجران معاً.**

**(٣٩٩)**

**انقبضَ قلبي فجأة ، أكمل حديثُة بهدوء دون أن ينظُر إلي : لم يكُن شجاراً عادياً ، بدا لي أنّة شجار اثنان مُغرمان ببعضهُما مُنذ فترةِ طويلة.**

**(٤٠٠)**

**وضع الكوب على الطاولة ثم حوّل ناظريه إلى وجهي، أراح يده فوق يدي فزادني ارتباكاً ثُم أردف بصوتٍ لطيف : لِما لم تُخبريني عنة؟ ما الذي منعكِ؟**

**(٤٠١)**

**شعرت بدمعة حارقة تشق طريقها في خدي، حاولت أن أنطق ولم أستطيع، رفع يده إلى خدي فوضعت يدي عليها وأغمضت عيني قائله بصوتٍ مبحوح: لا أريد خسارتك.**

**(٤٠٢)**

**شعرتُ به يقترب، وسمَ قُبلة دافئة على جبيني ، أنفاسُه غلّفت قلبي بالطمأنينة وأذابت حرارتُها الارتباك والقلق، كيف تشتهي نفسي قلب رجُل غيرُة !**

**(٤٠٢)**

**احتضن وجهي وابتسم لي وأنا أبكي وقال : لستُ أنا من خشيتِ خسارتُه، أنتِ مُغرمة به أستطيع أن أرى هذا في عينيكِ الآن، ثُم برقت عينيه وقتلَتني.**

**(٤٠٣)**

**احتضن وجهي بيديه وابتسم وأنا أبكي وقال: لستُ أنا من خشيتِ خسارته، أنتِ مُغرمة به أستطيع أن أرى هذا في عينيكِ الآن، ثُم برقت عينيه وقتلَتني.**

**(٤٠٤)**

**ألصَق جبينُه الطاهر في جبيني، همس لي حُزناً : لماذا فعلتِ هذا بي ؟ قُلت وقلبي يتمزّق: لا أعرف، أنا آسفة جداً، ثُم بكيت و وضع رأسي على صدرُه.**

**(٤٠٥)**

**أخبرتُه عنك ، عن رحيلُك وقسوتُك ، عن قلبي وقلبُك ، عن حماقتي وحماقتُك ، أخبرتُه عن الحُب السقيم والغياب المُر والانتظار الموجع ، عن كُل شيء.**

**(٤٠٦)**

**قبل أن أرحل قال لي بصدق : شكراً لأنكِ أهديتِني حياة جديدة، كوني سعيدة معُه لأنّه يحبّكِ أكثر من أي شخص آخر في هذا العالم، نبتت في صدري وردة.**

**(٤٠٧)**

**قُلت له وأنا ابتسم بمرارة : لا أظُنه سيعود أبداً ، هز رأسُه نافياً بهدوء وقال لي واثقاً : سيعود، أعدُكِ بهذا، لن يخسركِ مرّة أُخرى ، سيعود.**

**(٤٠٨)**

**عرض عليّ إيصالي للبيت فرفضت ، ألقيت نظرة للوراء بعد أن ابتعدت خطوات قليلة ، لا يزال يقفُ هُناك يتأمّلني أبتعد عنه ، عن قلبُه ، عن حياتُه.**

**(٤٠٩)**

**الخروج من علاقة حب قد تكون موت أو ولادة أخرى جديدة، قال لي في منتصف الحديث: لا تحدث الأشياء دون سبب، قد أكون أنا المنعطف الذي يعيدك للسعادة.**

**(٤١٠)**

**استعدت ذكرياتي الماضية مع النائم في صدري، اكتشفت أنّي كنت سعيدة دون أن أُدرك، سعادتي كانت مختلفة، أشعر بها في البكاء وأثناء تبادلنا الشتائم.**

**(٤١١)**

**سلكتُ طريقاً أطول للعودة ، أتاح لي الفُرصة في استعادة مزيداً من الذكريات ، ابتسمت كثيراً على حماقاتُنا والأشياء التي كانت تُشعرنا بالمُتعة.**

**(٤١٢)**

**كنا في بعض الأيام نصعد فوق السقف ونتحدث للسماء معاً، في منزلك كنا نتسلل من النافذة ونحرُص على أن لا ترانا السيدة العجوز في البناية المقابلة.**

**(٤١٣)**

**لازلتُ أذكُر صُراخها عندما رأتك تتأرجح على الخشبة "لصوص ، لصوص" ، كُنت أضحك كثيراً لدرجة أنّي لم أستطِع إنقاذُك ، صرختَ في وجهي : سأقتُلكِ.**

**(٤١٤)**

**ضحكتُ سرّاً عندما تذكرت ملامح وجهُك وأنت تقولها ، كيف أنساها وأنا رأيتُها أكثر من ملامحُك الطبيعيّة ، دائماً تُهددني بالقتل وتنسى أن تفعل.**

**(٤١٥)**

**كيف لم أفسّر حضورك في أعياد ميلادي قبل الجميع حُباً، كيف لم تُفسّر حرصي المفرط على صحتُك حُباً ، كيف لم نُفسّر الأوقات الحلوة والمُرّة حباً.**

**(٤١٦)**

**كتّفتُ ذراعيَّ وأنا أقطع الطريق للحي ، مررتُ قُرب شجرة الصفصاف التي شَهدت الكثير من مُغامراتُنا الحمقاء ، ابتسمتُ لها ثم أكملت طريقي للبيت.**

**(٤١٧)**

**الطريق رطبُ والنباتات في الأرصفة مُبللة ، الأنوار صفراء والسماء مُختبئة خلف الغيوم الكثيفة ، لا ينقُصني في هذا الوقت سوى وجودُك معي.**

**(٤١٨)**

**خائفة من أن لا تعود ، خائفة من حياة أنت لست فيها ، خائفة من يوم ميلاد أنت غائبُ عنه ، من لحظة حُزن لا أجدُك فيها ، من ضِحكة لا تشاركني فيها.**

**(٤١٩)**

**وصلتُ البيت وأنا ثقيلة جداً ، رأيت صُندوقاً صغيراً أمام الباب ، حملتُه ثُم فتحته ، وجدتُ في داخله شيئاً لم أتوقعه ، شيءً ظننتُه مات وانتهى.**

**(٤٢٠)**

**قرأت الظرف المُرفق داخلُه ، "شكراً لأنكِ احتفظتِ بالجُزء الأخير من الزهرة ، التوقيع : الجُزء الآخر من قلبُكِ" شعرتُ أن قلبي تلوّن وابتسم.**

**(٤٢١)**

**"ما رأيُكِ بهذا ؟" صدح صوته من خلفي فجأة واضحاً، استدرت إليه، كان يقف معتدلاً، يلبس كنزه بيضاء وقُبعة صوفيّه ظريفة أفلتت من شفتي ضحكة خفيّة.**

**(٤٢٣)**

**عقد حاجبيه وقال : ما بكِ ؟ ، أليس ما قُمت به ذكياً ؟ ، قُلت وأنا أُشيح عيني بعيداً عن رأسُه كي لا أضحك : لا شيء ، أنا فقط متفاجئة من هذا.**

**(٤٢٤)**

**اقترب نحوي قائلاً : من ماذا ؟ ، أجبتُه : من هذا الذي قمت به لأجلي ، ابتسم ابتسامه جذّابة وقال : إن قبلتِ دعوتي على العشاء ستتفاجئين أكثر.**

**(٤٢٥)**

**راوغتُه قائلة : وإن لم أفعل ؟ هبطت ملامحُه فجأة وقال: لن أقبل بالرفض، حجزت الفرقة الموسيقيّة، قلت: وماذا يعني هذا ؟ قال: خسارة ماليّه فادحه.**

**(٤٢٦)**

**ضحكت وهَمس : اشتقتُ إليها، نظرتُ إلى عينيه وقُلت له : أنت لا تحبها، اقترب أكثر وهو يقول : هي مُزعجة حقاً لكنّها جميلة، تجعلكِ مليئة بالحياة.**

**(٤٢٧)**

**تورّدت ملامحي فوقعت عيني على قُبعته المُضحكة، نزعتها من رأسُه وأنا أقول : هكذا سيُصبح حديثنا أكثر جديّة، قال : لهذا كان الجميع يضحك في وجهي.**

**(٤٢٨)**

**ضحكت وأزهر في صدري بُستان ، شعرتُ بجسدي يتنفّس الحياة ، شعرتُ كما لو أني غارقة في السعادة ، نقص عُمري وزاد شبابي وأصبحت أجمل صبيّة سمراء.**

**(٤٢٩)**

**قال لي بصوتٍ ساحر : هي من أخبرتني أنّي أحبّكِ ، أنا أيضاً أحمق مثلُكِ تماماً ، قُلت له : جميلُ أن تجمعنا صفات مُشتركة، أنا أحبّك بكُل حماقة.**

**(٤٣٠)**

**قال في حُب : أنا أحبكِ بكُل الغباء المحشوّ في رأسي ، ضحكت وقُلت له : نزعتُه مع القُبعة، رأسُك الآن فارغ من كُل الأشياء التي لا تمتُ لي بصله.**

**(٤٣١)**

**هبّت نسمة باردة ، جعلتنا نرتعش، قال لي : الفرقة الموسيقيّة تنتظر والأطباق تجمّدت ، هل ستأتين ؟ ، كُنت أعلم أنّة لن يقبل الرفض لذا قُلت : لا.**

**(٤٣٢)**

**هَتف : ماذا ! ، قُلت له : لدي في البيت حساء كُرات اللحم ، سأعد لك كعك البُرتقال ، وضع يدُه في صدره وقال : تعرفين كيف تُغريني ، أنا استسلِم.**

**(٤٣٣)**

**دخلنا معاً للبيت ، هذه المرّة لم نكُن أحمقين فقط ، بل أحمقين يعشقان بعضهُما ، تشابكت أيادينا واحتضن قلبي قلبه وبكت السماء فرحاً بنا.**

**(٤٣٤)**

**تحدّثنا كثيراً عن الأيام التي لم نكُن فيها معاً، أخبرته عن الرجُل الطويل وأخبرني عن صبيّة صهباء وأُخرى بيضاء وثالثة سمراء، فقرصتُه في أذنه.**

**(٤٣٥)**

**نسيت كل الأشياء السوداء، نسيت غيابه والانتظار، نسيت المرض والبكاء، الحُب يعمي بصيرتك عن الجزء المظلم في الذكرى فيأتي الحبيب على هيئة ملاك.**

**(٤٣٦)**

**ابتسامتُه الشقيّة ، شعرُة الكثيف وعينيه المُتمرّدتان ، صوتُه وهو يضحك ويتحدّث ، جعلتني أذوب حُباً ، لا أريد أ ن تنتهي هذه الليلة أبداً.**

**(٤٣٧)**

**سألتُه : هل ستستمرُ في مُغازلة النساء ؟ أجاب : إن لم تكوني حاضرة فقط ، قلت : سأحشُر نفسي في جيبُك إذاً ، قال : سيكون هذا تعذيباً لي.**

**(٤٣٨)**

**بعض الأشياء لا تُرى إلا بالحُب ، بعض الخُرافات حقائِق في الحُب ، من يُصدّق أن كُل الأشياء التي حدثت كانت بسبب زهرة مِن كفٍّ صهباءٍ غريبة.**

**(٤٣٩)**

**لأنّي أحبّة آمنتُ بقُدرة الزهرة، نحنُ في الحُب نؤمن في الأشياء التي نُريدها أن تكون حقيقة ، وضعتُ الزهرة في إناء ، أنا الآن أقبّلها كُل يوم.**

**،**

انتهت